الفصل الثامن

نهايــة اللعبــة.. اعتقال صدام حسين

- أولاً: الرواية الأمريكية.
- ثانياً: روايات أخرى.
- من مفاجآت التحقيق مع صدام الرئيس الأسير.
- شارون شاهد صدام وقضى ليلة في بغداد.
- ثالثاً: صدام حسين عاش طفولته منزوياً وانتهى معزولاً.

obeikandl.com

obeikandl.com

نهاية اللعبة

اعتقال صدام حسين

أولاً: الرواية الأمريكية:

أعتقل صدام حسين الذي حكم العراق بيد من حديد طيلة ٢٤عاماً، في «جحر» بالقرب من معقله في تكريت شمال العراق بعد قرابة ثمانية أشهر من مطاردة اعتبرت الأضخم في التاريخ.

وقال ريكاردو سانشيز قائد القوات الأمريكية في العراق في مؤتمر صحافي في ١٤ كانون الأول / ديسمبر ٢٠٠٣ عند حوالي الساعة ٢٠,٠٠مساء بالتوقيت المحلي (١٧,٠٠غرينتش): قام جنود من فرقة المشاة الرابعة بقيادة الميجور ريموند أوديرنو مع قوات عمليات خاصة تابعة للتحالف بشن عملية (الفجر الأحمر) للقبض على الدكتاتور العراقي السابق صدام حسين.

وأضاف إن القبض على صدام تم خلال عملية إغلاق وبحث في مزرعة معزولة قرب مدينة تكريت، ولم يصب أحد بجروح وفي الحقيقة لم تطلق أية رصاصة.

وقال سانشيز، إنه بعد تلقي معلومات استخباراتية صباح أمس السبت حول المكان الذي يحتمل وجود صدام فيه، تم تحديد موقعين محتملين بالقرب من بلدة الدور. ولأغراض العمليات فقد سمي الموقعين باسم «وولفيرين واحد» و «وولفيرين اثنان».

obeikandl.com

وأضاف: «إن فريق الكتيبة القتالية الأولى من فرقة المشاة الرابعة كلف بمهمة قتل صدام حسين أو القبض عليه. وشارك في العملية حوالي ٦٠٠جندي من كتيبة ريدر والكتيبة الأولى من الفرقة الرابعة بقيادة جيم هيكي. وضمت تلك القوة أفراداً من سلاح الفرسان والهندسة والمدفعية والطيران وقوات العمليات الخاصة».

وأوضح أنه «عند حوالي الساعة ١٨,٠٠ في ليل ١٣ كانون الأول / ديسمبر وتحت جنح الظلام وبسرعة البرق تمركزت قوات كتيبة ريدر وبدأت التحرك باتجاه الأهداف شمال غرب الدور».

وأضاف «عند حوالي الساعة ٢٠,٠٠ هاجمت قوات التحالف هدفين ولكنها لم تعثر على شيء في بداية الأمر. ونتيجة لذلك قررت الكتيبة القتالية الأولى إغلاق المنطقة والبدء في عملية بحث واسعة. وعثرت قوات التحالف بعد ذلك على موقع اشتبهت به إلى الشمال الغربي من موقع وولفيرين اثنان».

وتابع «والمنطقة هي مجمع صغير محاط به هيكل معدني وكوخ طيني، وخلال عملية البحث تم رصد جحر. وكان مدخل الجحر مخفي بقوالب الطوب والطين. وبعد الكشف عن الجحر تم شن عملية بحث وعثر على صدام حسين في قاع الحفرة. ويبلغ عمق الجحر حوالي ستة إلى ثمانية أقدام وفيه مكان يسمح لشخص واحد بالاستلقاء داخله».

وأضاف سانشيز إن صدام «اعتقل دون مقاومة».

وأوضح أنه «عند حوالي الساعة ٢١,١٥ الليلة قبل الماضية تم نقل صدام حسين إلى منطقة آمنة وتم تفتيش الحفرة والمنطقة المحيطة بها. ونتج عن عملية المداهمة مصادرة بندقيتين من طراز إيه كاي- ٤٧ ومسدس ومبلغ ٧٥٠ ألف دولار أمريكي بأوراق نقدية من فئة المئة دولار وسيارة تاكسي باللونين الأبيض والبرتقالي».

وقال سانشيز: إن عراقيين اثنين آخرين اعتقلا مع صدام الذي يحتجز في مكان لم يكشف عنه.

وقالت فرقة المشاة الرابعة في بيان أصدرته في مقرها في تكريت على بعد ١٨٠كيلومتراً شمال بغداد: إن صدام اعتقل «دون أي حادث» في «جحر تحت الأرض» قرب تكريت.

وأضاف البيان: إن «قوات التحالف بما فيها الكتيبة الأولى من فرقة المشاة الرابعة داهمت مجمعاً في بلدة الدور جنوب تكريت في ١٣كانون الأول/ديسمبر».

وأشار البيان إلى إنه «عثر على صدام مختبئاً في جحر تحت الأرض عند الساعة ٢٦, ٢٠مساء».

وصرح مسؤولون في حزب الاتحاد الوطني الكردستاني في وقت سابق إن قوات الحزب شاركت في عملية القبض على صدام حسين إلا أن تصريحات الجيش الأمريكي لم تشر إلى أي دور للقوات الكردية.

وعرض الجنرال سانشيز على المؤتمر الصحفي الذي عقد لهذا الغرض شريط فيديو لصدام حسين وقد غطت وجهه لحية كثيفة، بينما يقوم أحد الأطباء الأمريكيين بفحصه، في حالة ذهول، وبشكل مهين عكست أعمق صور الإذلال لشخصه على الإطلاق، ووصفه الجنرال سانشيز بأنه: رجل متعب ومستسلم لمصيره.

وبدأ بعض العراقيين في المؤتمر الصحفي بالصياح قائلين: «الموت لصدام» بمجرد عرض شريط الفيديو.

وصرح مسؤولون في وزارة الدفاع الأمريكية أن فريقاً للعمليات السرية الخاصة شارك القوات الأمريكية النظامية في القبض على الرئيس العراقي السابق صدام حسين بالقرب من تكريت.

وصرح متحدث بارز في الوزارة «هذه الوحدة العسكرية عكفت على العمل على هذا الهدف العسكري المحدد لفترة طويلة».

ولم يدل المسؤول بأية تفاصيل أخرى عن هذه الوحدة مؤكداً أنه حتى اسم هذه الوحدة سري.

وفي الأسابيع الأخيرة قال الكولونيل ستيفين رسل الذي شاركت كتيبة ١- ٢٢ التي يقودها في عملية مطاردة صدام إن أفراد المشاة في كتيبته قاموا بعملية مطاردة حثيثة لصدام.

وفي مقر فرقة المشاة الرابعة في أحد قصور صدام حسين السابقة انطلقت صيحات الابتهاج من الجنود والضباط عند الإعلان عن القبض عن صدام.

وأوضح أن تلك أنباء عظيمة للعراقيين الذين كانوا يخشون عودة الدكتاتور السابق إلى الحكم.

في إطار العملية ذاتها صرح قائد الوحدة العسكرية بالجيش الأمريكي، التي قامت بصورة مباشرة باعتقال صدام حسين، بأن اعتقال الديكتاتور السابق يأتي تتويجاً لعمل مخابراتي مكثف اشترك فيه الكثيرون بمن فيهم أفراد من أسرة صدام حسين نفسه.

فقد أدلى الميجور جنرال روي أوديرنو، قائد الفرقة الرابعة مشاة، بمؤتمر صحفي في بغداد بعد بضع ساعات من الإعلان المثير لكبار مسؤولي الإدارة الأمريكية في بغداد أمس أنه جرى اعتقال الديكتاتور العراقي السابق.

وأوضح أوديرنو أن الصلات الأسرية والقبلية أسهمت في اعتقال صدام. وأضاف «لقد اشترك الكثيرون في العملية».

وكان صدام محل عمليات بحث مكثفة بدأت منذ سقوط النظام السابق في ٩ نيسان/إبريل ٢٠٠٣ على يد قوات التحالف التي تقودها الولايات المتحدة.

فبناءً على معلومات مخابراتية تلقتها، قامت القوات الأمريكية بمداهمة مكان اختفاء صدام في نحو الساعة ٨:٣٠ من مساء يوم السبت ١٢ كانون الأول / ديسمبر ٢٠٠٣ حيث عثرت عليه في مخبأ مموه تحت الأرض في منطقة ريفية على بعد نحو ١٥ كيلومتراً إلى الجنوب من مسقط رأسه مدينة تكريت، كما جاء في تصريح القائد الأمريكي.

وأوضح أوديرنو أنه قام بتفتيش المنطقة المذكورة «عدة مرات من قبل» وأنه كانت تخامره شكوك في أن صدام ربما كان لديه نحو ثلاثين من هذه المخابئ، وأنه آخذ في التنقل بصورة مستمرة من مخبأ إلى آخر.

وأضاف القائد الأمريكي أنه جرى تطويق منطقة يبلغ طولها كيلومترين وعرضها كذلك، ثم تفتيشها على يد نحو ٦٠٠ من أفراد القوات الأمريكية.

وقال: إنه عندما جرى استخراج صدام من مكمنه بدا «متحيراً» وعلى الرغم من حمله لمسدس فإنه لم يبد أي مقاومة لدى إلقاء القبض عليه.

وأعرب أوديرنو عن شكوكه من أن صدام لم يمكث في مكمنه هذا سوى فترة قصيرة استناداً على وجود قمصان جديدة لم تخرج من لفافتها بعد.

ويتألف مخبأ صدام من كوخ يقع بين مزرعتين بالقرب من نهر دجلة. ووصف أوديرنو الكوخ بأنه يتألف بدوره من حجرتين صغيرتين إحداهما غرفة نوم تتناثر الصور الفوتوغرافية على حوائطها بينما تراكمت على أرضها القمصان الجديدة والنعال والأخرى مطبخ بدائي به مياه جارية.

وأضاف قائد الوحدة الأمريكية أنه لم يعثر على أي أجهزة اتصال في مكمن صدام. وقال القائد الأمريكي إنه جرى نقل صدام على عجل، عقب إلقاء القبض عليه، على متن طائرة هليكوبتر إلى «القيادة التي تقع جنوباً»، لكنه لم يفصح عن مكان اعتقاله.

وتكشفت تفاصيل القصة الكاملة لاعتقال صدام حسين داخل ما صار الأميركيون يسمونها بـ «حفرة العنكبوت» بقرية الدور في تكريت. فقد بدأت آخر فصول عملية مطاردة الرئيس العراقي السابق يوم الجمعة ١٢ كانون الأول / ديسمبر ٢٠٠٣ عندما نفذت القوات الأميركية عملية اعتقال في منزل سري ببغداد أسفرت عن تقديم «المعلومة الحاسمة» حول اختباء صدام حسين.

كشف الشخص المعتقل أنه يمكن العثور على صدام في واحد من منزلين مبنيين بالطوب الأخضر في مزرعة بقرية الدور. في الساعة ١٠,١٥ وضع الضباط الأميركيون اللمسات الأخيرة للعملية التي أسموها «عملية الفجر الأحمر»، مع أن تنفيذها بدأ بعد الغسق. كلف بتنفيذ المهمة ٦٠٠ جندي أمريكي قيل لهم فقط إنهم متجهون لاعتقال «هدف مهم». اتخذ الجنود مواقعهم تمام الساعة السادسة من مساء السبت، قبل ساعتين من بدء العملية. لم يعثر الجنود في البداية على «الهدف»، فأغلقوا المنطقة ووسعوا عملية البحث إلى أن عثروا بالقرب من نهر دجلة على منزل من غرفتين طينيتين، في إحداهما سرير وكرسي وقمصان تي شيرت مبعثرة، وفي الثانية مطبخ بدائي به صنبور مياه.

فجأة وجد الجنود حقيبة بها مبلغ ٧٥٠ ألف دولار من فئة المائة دولار، مما عزز لديهم الاعتقاد باقترابهم من شخص مهم قد يكون صدام حسين. عندها لاحظوا في فناء المنزل بساطاً مثيراً للشبهة فأزاحوه ليجدوا مدخل قبو عمقه متران ونصف المتر وعرض مساحته في الأسفل ١٨٠ سنتمتراً، تتسع لشخص واحد مستلق. وجد الجنود في قاع القبو رجلاً طويل الشعر وكث اللحية لم يتعرفوا عليه إلى أن بادرهم بتعريف هويته من دون أن يستخدم المسدس الذي كان بحوزته. ويقول الكولونيل جيمس هيكي قائد الفرقة التي كلفت البحث عن «الهدف» إن جنوده أوشكوا على رمي قنبلة يدوية داخل الحفرة لولا إسراع صدام بالاستسلام.

وكان أول ما قاله الرئيس العراقي السابق بالإنجليزية للجنود الأميركيين الذين كانوا يخرجونه من الحفرة «اسمي صدام حسين، أنا رئيس العراق، وأريد

التفاوض». وردّ عليه أفراد القوات الخاصة الأمريكية بأنهم يحملون تحيات الرئيس الأمريكي جورج بوش له.

وقال مسؤول الاستخبارات الأمريكي الذي قرأ مسودة التحقيق الأولى مع صدام: إن المسودة امتلأت بعبارات خطابية طنانة، فحينما سئل: «كيف حالك؟» جاءت إجابة صدام: «أنا حزين لأن شعبي مستعبد». أما أعضاء مجلس الحكم الأربعة، وهم موفق الربيعي وعدنان الباجه جي وأحمد الجلبي وعادل عبد المهدي فقد التقوه بعد ظهر الأحد في القاعدة العسكرية التي لم يعلن عنها، وكان يجلس على سرير عسكري معدني، وقد استيقظ لتوه من قيلولة، وكان يرتدي جوارب وخفاً أسود. وقالوا: إن صدام كان متحدياً وغير نادم ولكنه مهزوم إلى حد كبير.

وقال موفق: إن صدام كان يستخدم معهم لغة بذيئة. وكان مسؤولان أمريكيان حاضرين هما بول بريمر الحاكم المدني الأمريكي للعراق والجنرال ريكاردو سانشيز القائد العسكري الأعلى في العراق، لكنهما لم يشاركا في الحوار.

ويختلف مساعدون للزعماء العراقيين الأربعة قليلاً حول ما حدث، إذ قال أحدهم: إن صدام الذي قالوا إنه كان قد استيقظ لتوه لم يعرف أياً من زواره. وقال آخرون: إنه عرف الجلبي وطلب منه تقديم الآخرين.

وقال أحد المساعدين: إن «صدام أدار وجهه إلى الباجه جي وقال: كنت وزير خارجية العراق. ما الذي تفعله مع هؤلاء الأشخاص؟».

وقال الربيعي: إنه سأل عن سبب قتل صدام اثنين من كبار رجال الدين الشيعة هما آية الله محمد باقر الصدر عام ١٩٨٠، وآية الله محمد صادق الصدر عام ١٩٩٩، فأجاب صدام حسين متهكماً «الصدر أو الرجل؟».

وعندما سئل عن المقابر الجماعية أجاب «اسألوا أقاربهم، كانوا لصوصاً وهربوا من المعارك مع إيران وفي الكويت». وعن غزو الكويت قال: «إنها جزء من العراق».

وقال الباجه جي: إن صدام حاول أن يبرر أفعاله بالقول إن العراقيين يحتاجون إلى حاكم قاسٍ.

وأكد مسؤول استخبارات أمريكي أن الجنود الأميركيين وجدوا مع صدام حقيبة تحتوي على رسالة فيها ملخص لاجتماع عدد من قادة المقاومة في بغداد.

عائلة مقربة من صدام حسين يقول أحد أفرادها إن المهاجمين الأمريكيين رشوا المنطقة التي شكوا فيها بوجود صدام حسين بغاز خاص لم يعرف بعد، وابتعدوا عنه ثلاثة كيلو مترات وهذا ما مكنهم من تخدير كل من كان ضمن دائرة قطرها عشرة كيلو مترات، وقد تخدر كل الذين ضمن هذه الدائرة بما فيهم صدام حسين.

وقال أفراد العائلة: إن صدام بدا وكأنه نائم. وقد هب في وجوه جنود الاحتلال بعد نصف ساعة.

فقد ظهر على شريط الفيديو مشوش مع ظهور كدمات على وجهه، وأظهرت الصور جروحاً فوق حاجبه. كما أنه كان يتصرف مثل الروبوت أو الإنسان الآلي أثناء فحصه ودون أي إحساس، بل إنه كان يتحسس وجهه بيديه، وكأنه أفاق لتوه من غيبوبة. فهل هذا بسبب استخدام قنابل غاز الأعصاب لشل حركته عند اقتحام المخبأ. تماماً مثلما فعلت القوات الروسية عندما استخدمت قنابل مماثلة للسيطرة علي المتمردين الشيشان عند اقتحامهم المسرح. حيث فقد المهاجمون وجميع الحضور الوعي الكامل لساعات، الأمر الذي يفسر عدم مقاومته للمهاجمين. ولماذا لا يقوم بعض الخبراء المحايدين بتحليل تربة المخبأ والمناطق المحيطة لإظهار الحقيقة؟.

وتنشر الفايننشيال تايمز بعض التفاصيل عمن وشى بصدام حسين وتقول: «إن أبناء عائلته هم الذين خانوه في النهاية، إذ احتجزت الاستخبارات الأمريكية في العراق ما بين ٥ إلى ١٠ أفراد من عائلة صدام حسين على مدى الأسبوع الماضي

وعندما تم التحقيق مع هؤلاء الأشخاص بدأت الصورة تتضح حول مكان وجود صدام حسين.

وتضيف الصحيفة قائلة: إنه خلال أيام قام أحد أفراد العائلة بخيانة صدام والوشاية بمكانه.

ثانياً: روايات أخرى:

١ـ تابعت مجلة «المجلة في العدد ١٢٤٦» المعلومات التي ترددت حول كيفية إلقاء القبض على الرئيس العراقي السابق صدام حسين والتي أفادت «إن قريب الرئيس العراقي العقيد محمد إبراهيم عمر المسلط كان مرافقاً شخصياً له، وكان يلازمه طوال فترة اختفائه وتنقله من مخبأ إلى آخر. وكان المسلط موضع متابعة ومراقبة من قبل قوات الاحتلال، وتمكنوا من الإيقاع به والاتفاق معه على إجراء مسرحية تقضي باعتقاله من قبل القوات الأمريكية كي يجد عذراً للوشاية بصدام بعدما تمنع الأخير عن تزويده باحتياجاته المادية، وأنه بدأ يخفض كلفة العمليات ويناقش في نتائجها، ويبدو أن المسلط اتفق مع الأمريكيين على تسليم صدام حياً من دون أن يتمكن من المقاومة أو الهرب من المصيدة التي أعدت له وعلى الرغم من أن المعلومات الأولية التي وزعت عن كيفية اعتقال الرئيس العراقي لم تشر إلى تخديره بالغاز، إلا أن هناك تأكيد أن ابن عم الرئيس المسلط هو الذي تولى عملية التخدير وليس القوات الأمريكية، ليضمن اعتقاله حياً، وبالفعل فقد توجهت القوات الأمريكية برفقة المسلط إلى البيت الموجود في المزرعة في جنوب تكريت يوم السبت الثالث عشر من كانون الأول / ديسمبر ٢٠٠٣ فتولى المسلط تنفيذ التخدير أولاً، ثم قامت القوات الأمريكية بباقي المهمة»[1].

وأكد أطباء عراقيون يعملون في مستشفى الجملة العصبية ببغداد أنهم يرجحون أن صدام حسين قد حقن بمادة مخدرة مشابهة للمادة التي حقن بها زعيم

(١) تفاصيل مثيرة في حفرة تكريت، مجلة المجلة العدد: ١٢٤٦، ٣ / ١/ ٢٠٠٤.

الحزب العمالي التركي عبد الله أوجلان أثناء القبض عليه في كينيا من قبل خلية مخابراتية مركبة من عناصر من الموساد و (CIA) المخابرات التركية.

وقال هؤلاء الأطباء الذين رفضوا الإفصاح عن أسمائهم: إن هذا النوع من الحقن متوفر في ثلاث دول فقط هي: الولايات المتحدة، وإسرائيل، وألمانيا، وإن الشخص الذي يتلقى حقنة منه يظل خائر القوى لبضعة أيام كما حدث مع أوجلان حيث بقي فاقداً للوعي لأكثر من ٧٢ ساعة، وبعدها أصيب بحالة من الغثيان الشديد وهذا ما تم مع صدام.

من جانب آخر أفادت معلومات موثوقة تسربت من حلقات ضيقة داخل العائلات التكريتية المعروفة: إن صدام كان قد رسم خطة عسكرية محكمة حيث قسم المنطقة التي يوجد فيها إلى ثلاثة مواقع هي حسب التتابع الموقع المتقدم وطريق الانسحاب والخلفيات.

٢ـ وهناك تضارب في الروايات حول اعتقال صدام حسين ما أكده مصدر سياسي كردي مطلع في بغداد أن قوات «البيشمركة» الكردية هي التي اعتقلت الرئيس العراقي السابق ثم قامت بتسليمه إلى القوات الأمريكية بعد مرحلة استخباراتية جرت منذ أشهر، نافياً أية دور فاعل للقوات الأمريكية في المهمة.

وقال المصدر، الذي طلب عدم الكشف عن اسمه، في تصريح لـ (لصحيفة الوطن السعودية العدد: ١١٧٩): «إن قواتنا هي التي ألقت القبض على صدام حسين وانتشلته من مخبئه في قرية بمدينة الدور وبعد ساعات سلمته إلى القوات الأمريكية».

وأشار المصدر إلى أن الإدارة الأمريكية لم تعلم باعتقاله، إلا بعد تصريحات رئيس الاتحاد الوطني الكردستاني جلال الطالباني لوكالة الأنباء الإيرانية أثناء عبوره الحدود العراقية في منفذ المنذرية الحدودي مع إيران.

ولم تستطع الإدارة الأمريكية أثناء ذلك تأكيد أو نفي نبأ الاعتقال حتى تسليمه من قبل الأكراد إلى القوات الأمريكية.

وهذه هي المرة الثانية التي تستطيع قوات البيشمركة الكردية اعتقال مسؤول حكومي كبير بعد عملية اعتقال نائب الرئيس العراقي السابق طه ياسين رمضان في مدينة الموصل شمال غربي العراق.

من جهة أخرى قال مصدر عراقي مطلع في وصفه لصورة الرئيس بأن «صدام حسين تعرض للإهانات والضرب على أيدي قوات البيشمركة قبل تسليمه للقوات الأمريكية»، مشيراً إلى الجروح الظاهرة في جبهته.

وأضاف المصدر حتى الآن لا نسمع سوى رواية واحدة من معارضي نظامه والقوات الأمريكية نتمنى أن نسمعه يتحدث لنعرف الحقيقة[1].

وفي هذا السياق ذكرت صحيفة «صنداي إكسبرس» البريطانية في ٢٢ كانون الأول / ديسمبر ٢٠٠٣ نقلاً عن مسؤول في أجهزة المخابرات العسكرية البريطانية لم تفصح عن اسمه إن صدام وقع بين أيدي قوات الجبهة القومية الكردية بعد خيانة أحد أعضاء قبيلة الجبور له انتقاماً «لاغتصاب ابنته من قبل عدي نجل الرئيس العراقي السابق».

وأضافت الصحيفة أن القصة الكاملة للتطورات التي أدت إلى اعتقال صدام حسين يوم ١٣ كانون الأول / ديسمبر ٢٠٠٣ بالقرب من معقله تكريت شمال العراق «تظهر أن الرواية التي أطلقها المستشارون الأمريكيون ليست كاملة»[2].

ونقلت الصحيفة عن مسؤول سابق في أجهزة المخابرات العراقية لم تذكر اسمه أن صدام اعتقل من قبل أحد قادة الجبهة القومية الكردية الذي احتجزه حتى توصل إلى اتفاق بالتفاوض بشأنه، «وقد أتاح هذا الاتفاق للجبهة الكردية الحصول على مكاسب سياسية في المنطقة فيما يبدو».

---

(١) صحيفة الوطن السعودية، العدد: ١١٧٩، الاثنين، ٢٢ كانون الأول / ديسمبر ٢٠٠٣.

(٢) صحيفة «صنداي إكسبرس» البريطانية، ٢٢ كانون الأول / ديسمبر ٢٠٠٣.

وقال مصدر في أجهزة مخابرات غربية في الشرق الأوسط للصحيفة إن صدام لم يعتقل نتيجة تحرك قامت به أجهزة المخابرات الأمريكية أو البريطانية، وأضاف «علمنا أن أحداً كان يريد الانتقام منه وكانت فقط مسألة وقت».

وهناك رواية أخرى كشفت صحيفة (يني شفق) التركية النقاب عنها، وهي أن القوات الأميركية ألقت القبض على الرئيس صدام حسين في الثامن والعشرين من تموز / يوليو ٢٠٠٣ أثناء اقتحامها أحد المنازل بحي المنصور في العاصمة بغداد.

وذكرت الصحيفة نقلاً عن موقع (ديبكا فيل) المقرب من المخابرات الإسرائيلية أن هذه المعلومة المتعلقة بحقيقة اعتقال صدام لم يكن يعرفها سوى (الموساد) والولايات المتحدة.. وكان الرئيس جورج بوش يستهدف عدم إعلان نبأ القبض على صدام والتكتم عليه لإعلانه قبيل موعد إجراء الانتخابات الرئاسية الأمريكية بشهر واحد.

وأشارت (يني شفق) لسان حال حزب العدالة والتنمية الحاكم إلى أن الولايات المتحدة بعد أن بدأت تصدر رسائل تحذير لـ (إسرائيل) فيما يتعلق بسياستها فإن جهاز (الموساد) قام بتسريب صورة لصدام حسين وهو بالشعر والذقن الطويل لإحدى الصحف البريطانية، ما وضع إدارة بوش في موقف حرج للغاية اضطرت معه للإسراع بإعلان اعتقالها صدام حسين، وعدم انتظار إعلان النبأ قبل شهر من الانتخابات حسبما كانت تخطط، وذلك قبل أن تنشر الصحيفة البريطانية النبأ[1].

٣ـ نشرت صحيفة (الأسبوع) المصرية في ٢٢ كانون الأول / ديسمبر ٢٠٠٣ عن سيناريو اعتقال الرئيس السابق صدام حسين وما أوردته الصحيفة من

(١) تقرير في صحيفة تركية نقلاً عن موقع مقرب من المخابرات الإسرائيلية: الأميركيون أسروا صدام قبل أشهر.. وتكتموا لأسباب انتخابية لكنهم اضطروا إلى الإعلان عن اعتقاله بعد تسريب (الموساد) الخبر للصحف، صحيفة الرياض، الأربعاء ٢٣ شوال ١٤٢٤، العدد ١٢٩٦٢

معلومات جديرة بالاهتمام أو بالقراءة على الأقل وربما في أسوأ الاحتمالات إخضاع ما جاء لمنطق العقل.

الروايات كثيرة.. ولعل ما صرح به مصدر خاص جداً ورفيع حول حقيقة وظروف وملابسات الاعتقال يسير في الاتجاه نفسه..

١ـ صدام لم يعتقل وقت إذاعة الخبر وإنما اعتقل قبلها بشهر أو اثنين على الأقل.

٢ـ الولايات المتحدة تورطت في القبض عليه.. فقد كانت تريده جثة، أي قتيلاً.. وليس حياً.

٣ـ إن القوات الأمريكية كانت تدرك أن في القبو صيداً ثميناً.. ولم تكن تتوقع أبداً أنه صدام، بل الترجيحات كانت لصالح شخصيات أخرى.. من هنا تمت عملية تخدير القبو كله بغاز مخدر، وكان من الممكن قتله وإظهار الأمر وكأنه معركة أو مقاومة وانتهى الأمر.

٤ـ إظهاره بهذه الصورة يعكس المأزق الأمريكي، وكيفية التصرف معه.. أي محاكمته، وعلى أي أساس وقانون ومن يتولى المحاكمة، وهل سيحكم عليه بالإعدام ـ كما تفضل ـ أم يستجيبون للمعارضة البريطانية والبرتغالية وغيرها بعدم تنفيذ الإعدام.

٥ـ الرطب الأصفر الذي ظهر في صور القبض على صدام.. أظهر بوضوح التناقض إن لم يكن الكذب في مسألة توقيت الاعتقال.

٦ـ أما حكاية الجرح فوق الحاجب الأيسر وطريقة علاجه ومقارنته بين صورتين نشرتهما قوات الاحتلال فتدل هي الأخرى على تكذيب التوقيت.

٧ـ تبقى الحقيقة.. وحدها هي الغائبة، لأنها أصبحت مرادفاً وحيداً لمن يملك القوة!!

في ساعة مبكرة من صباح الأحد ١٤ من كانون الأول / ديسمبر٢٠٠٣ وجه الحاكم الأمريكي في العراق بول بريمر الدعوة إلى عدد محدود من أعضاء مجلس الحكم الانتقالي، كان اللقاء سرياً وغير معلن، وكان ضمن الحاضرين عدنان الباجه

جي رئيس المجلس وموفق الربيعي وآخرون. بدا بول بريمر منتشياً، تحدث معهم بكل ثقة: لقد ألقينا القبض على صدام حسين، وهو الآن بحوزتنا،.. لم يصدق الحاضرون الخبر، بدت الدهشة على وجوههم واضحة، كانت الأسئلة تلاحق بول بريمر، هل هذا الكلام صحيح؟ متى حدث؟ وكيف.. وأين؟ هل تأكدتم أنه فعلاً صدام وليس شبيهاً له؟ بعد قليل اصطحبهم بول بريمر إلى مكان سري،.. إنه فعلاً صدام حسين، كان الرجل يبدو كأسد جريح، لحية طويلة غير مهذبة، شعر الرأس يبدو مبعثراً وكأن الرجل خرج لتوه من كهف سحيق.. نظر صدام حسين إلى أعضاء مجلس الحكم باستهانة، ووضع رجلاً على رجل في مواجهتهم وراح يوجه شتائمه إليهم. سألوه عن مواقفه، حاولوا استدراجه في الحديث إلا أن إجاباته كانت مقتضبة، وتتميز بالسخرية وتعبر عن مواقف عنيدة يرفض الرئيس أن يتراجع عنها.

حلم لا يصدق:

خرج أعضاء مجلس الحكم من الاجتماع وكأنهم يشاهدون حلماً لا يصدق، معقول، إنه فعلاً صدام حسين، اللغة نفسها، الثبات نفسه، القدرة على المقارعة نفسها.. فقط عينان زائغتان، تغوصان في المجهول، وكأن الرجل قد أجبر على تناول حبوب مخدرة. بعد قليل بدأ الخبر يتسرب، جرت الاتصالات بطالباني في إيران، لم يتمهل، كان أول من أعلن الخبر من طهران، ثم راحت وكالة الأنباء الإيرانية تبث الخبر إلى العالم.. تكهربت الأجواء الإعلامية، أعلنت حالات الاستنفار، الكل يتساءل، يستفسر، المحطات الفضائية بدأت تعد الأفلام الوثائقية، تجري الاتفاقات مع المحللين السياسيين انتظاراً للحظة الإعلان. بعد قليل راحت الأخبار تتدفق، مصادر مجلس الحكم الانتقالي تعلن أنها على يقين من صحة الخبر، مصادر في البنتاغون لا تستبعد، ثم خرج توني بلير ليهنئ العراقيين بالقبض على صدام. انتظر الصحفيون لحظة الإعلان الأمريكي، وجاء الخبر: بول بريمر سيعقد وإلى جواره قائد القوات الأمريكية في العراق الجنرال ريكاردو سانشيز ورئيس مجلس الحكم الانتقالي بالنيابة عدنان الباجة جي مؤتمراً صحفياً في

الثانية من ظهر الأحد بتوقيت القاهرة. وفي الثانية ظهراً كان بول بريمر يعلن النبأ، انفجرت القاعة صراخاً وهتافاً، فقد بعض الإعلاميين الذين جيء بهم أعصابهم وراحوا يرقصون بصورة هزلية.. فتح الباب أمام الأسئلة وكانت المفاجأة:

صدام حسين يظهر في شريط فيديو جرى عرضه أمام وسائل الإعلام. نعم.. إنه هو صدام حسين، العينان نفسهما، ملامح الوجه، حركة الرأس ذاتها، كل شيء يقول إن هذا الرجل هو صدام حسين.. وحتى اللحية الكثيفة لم تقف عائقاً أمام التعرف عليه. راح العالم يضرب أخماساً في أسداس، وكالات الأنباء والصحف ووسائل الإعلام تطرح تساؤلاتها، تفتح أبوابها للمحللين، بينما الشارع العربي راح ينقسم بين من يقول إن هناك أسراراً في الأمر.. ربما كان شبيهه، أو ربما كان هو بالفعل، ولكن عملية اعتقاله سبقت الإعلان بكثير.. تجمعت خيوط الصورة كاملة.

بوش وبريمر:

كان بول بريمر قد حدد سلفاً موعداً لأحد المسؤولين الدوليين لاستقباله في بغداد، وصل المسؤول، لكنه لم يجد بول بريمر، لقد أبلغ أن بريمر استدعي على عجل لمقابلة الرئيس جورج بوش في الولايات المتحدة. أبدى المسؤول الدولي غضبه، إن بريمر لم يقدم له حتى مجرد اعتذار، لقد أبدى الرجل دهشته من هذا السلوك المتعجرف وأبلغ غضبته إلى من التقوه ليبلغوه اعتذار بريمر. كان العنوان المعلن لهذا الحدث أن الرئيس الأمريكي جورج بوش استدعى بريمر على عجل للبحث عن خطة لنقل السلطة إلى العراقيين بعد تدهور الأوضاع الأمنية والسياسية على الساحة العراقية، وقيل في هذا الأمر كلام كثير. انطلقت طائرة خاصة من مطار بغداد تقل بول بريمر ومعه وبشكل غير معلن بعض القادة العسكريين، وكان هناك على الطائرة الرئيس صدام حسين. انطلقت الطائرة من مطار بغداد لنقل مستقليها إلى البيت الأبيض في واشنطن، لم يكن أحد يعرف باستثناء قلائل أن هذا الشخص الذي جرى التعمية على مظهره هو صدام حسين. في هذا الوقت أشاع الأمريكيون في كل مكان كثيراً من الأخبار حول طرق البحث عن صدام

ورسائل صدام وأعوان صدام وخطورة صدام. كانت أخباراً متعمدة ومعدة سلفاً، ولكن لم يسأل أحد لماذا توقفت رسائل صدام حسين إلى شاشات التلفاز منذ هذا الوقت؟! وكانت آخر رسالة بثتها قناة العربية، بصوت صدام حسين قد أذيعت خلال شهر رمضان، وهي رسالة يبدو أنها أعدت سابقاً، وأن عملية بثها في هذا الوقت الذي كان فيه صدام في أيدي القوات الأمريكية هو الذي أثار أعضاء مجلس الحكم العراقي الذين تلقوا توجيهات من بول بريمر بإغلاق مكاتب قناة العربية، في بغداد عقاباً لها على بث هذا الشريط الذي أعاد صدام لدائرة الفعل، بالرغم من أنه كان بأيدي الأمريكان.

الخبر الصدمة:

كان خبر مقتل عدي وقصي نجلي صدام حسين وحفيده مصطفى في تموز/ يوليو ٢٠٠٣ بمثابة الصدمة للأب، لم يصدق الرئيس ما جرى، كان يظن أن قراره بإبعادهم عنه يعني توفير الحماية لهم، لكنهم سلموا من قبل الرجل الذي ظن أنه سيحميهم واستشهد الثلاثة في معركة أثبتوا فيها صلابة منقطعة النظير.. اهتز وجدان الأب، ظل أسبوعاً كاملاً يرفض تناول الطعام، كان كثيراً ما يهذي بكلمات غير مفهومة. منذ هذا الوقت بدأت القيادة العسكرية الأمريكية في العراق أولى خطوات الخطة الجديدة للبحث عن صدام حسين واعتقاله، كانت الخطة تحت إشراف مباشر من الجنرال ريكاردو سانشيز يعاونه في ذلك الجنرال أودرينو قائد الفرقة الرابعة. قامت الخطة على افتراض يقول: إن صدام سيحاول اللجوء إلى عشيرته وإلى بلدته تكريت من أجل الاحتماء بها، خاصة أن الكثير من أفراد الحرس والمرافقين الشخصيين للرئيس بدؤوا يبتعدون عن نطاق مكان صدام بعد مقتل نجليه وراحوا يمارسون مهاماً أخرى، فانضم بعضهم إلى فرق المقاومة الميدانية بينما راح آخرون ينظمون أجهزة جمع المعلومات لصالح المقاومة. كان صدام محبطاً جراء استشهاد نجليه وحفيده، لكنه كان مصمماً على الإستمرار مهما كان الثمن، كان يقاوم الإحباط بكل ما يملك وراح يبعث بشريط إلى قناة

العربية، ينعى فيه ولديه ويعلن استمرار المقاومة حتى النصر. كانت البداية الأولى عندما تم اعتقال ثلاثة من مساعدي صدام الرئيسيين وهم من الحرس الشخصي له، وكانوا على قدر كبير من الأهمية، لأنهم كانوا معنيين بتحركات صدام وكذلك المخابئ السرية التي كان يزورها قبل سقوط بغداد، وكان ذلك أمراً مهماً للأمريكيين؛ لأنهم كانوا يعتقدون أن هذه المخابئ توجد تحت القصور الرئاسية، بذلوا الكثير من الجهد من أجل كشف أسرار هذه المخابئ إلا أنهم فشلوا. وكانت الفرقة الرابعة والجنود الأمريكيون يقومون بتفتيش هذه القصور الرئاسية مرتين في اليوم الواحد احتمالاً لوصول صدام إليها في أية لحظة، وكانت القصور المستهدفة حوالي ٢٠ قصراً، أكثرها أهمية تلك القريبة من نهر دجلة. وأمام هذه المعضلة بدأ سيمون دارايز أحد أبرز قيادات الـ(سي. آي. إيه) في العراق في وضع خطة جديدة لاعتقال صدام. كان دارايز يرى أن صدام لن يتعمد المرور في المخابئ السرية لهذه القصور؛ لأنه يعلم جيداً أن القوات الأمريكية تفرض حصاراً من السياج الأمني القوي على هذه القصور، وأن أفراد حرسه الشخصيين الذين تم القبض عليهم أدلوا بمعلومات تفصيلية عن المخابئ السرية في هذه القصور أثناء العمليات العسكرية الأمريكية على العراق، وأنه يعلم أن الأمريكيين عرفوا جيداً هذه المعلومات، وأن صدام لن يكون من الغباء بحيث يستخدم هذه المخابئ مرة أخرى، خاصة أن صدام معروف بالذكاء وإجادة التمويه والتغطية على تحركاته، كما أنه يعرف جيداً طبيعة الأراضي العراقية.

وقد كتب سيمون دارايز هذا التقرير في آب / أغسطس ٢٠٠٣ وأكد في تقريره أن الأماكن التي من المحتمل أن يتواجد فيها صدام لن تخرج عن أحد مكانين: إما في منزل أسرة بعيدة عن بغداد وأنه يثق في هذه الأسرة كثيراً وهي قادرة على حمايته. وإما أنه في منطقة مهجورة وغير مأهولة بالسكان، وأن صدام أعد لنفسه مخبأ في هذه المنطقة وأن هذا المخبأ سيكون بالقرب من عشيرته وبلدته تكريت. وكان دارايز يرى أن صدام حسين لا يمكن أن يكون قد غادر العراق، فهذا احتمال بعيد من خلال معرفة شخصية صدام التي تأبى الهروب. ورأي دارايز

ضرورة التركيز على الحرس الشخصي ومرافقي صدام الذين يعرفون تحركاته في الفترة القادمة، وكانت الخطة تقول: إن البحث عن الكبار واعتقالهم بزعم أن هؤلاء هم الذين سيؤدون إلى اعتقال صدام حسين هي فكرة خاطئة وغير صحيحة. وكانت فكرة دارايز ترى ضرورة تنحية القوائم والخطط التي أعدها الأمريكيون للوصول إلى مكان صدام خاصة بعد الفشل الذي منيت به هذه الخطط في الفترة الماضية. وكانت الخطة الجديدة التي وضعها دارايز تقول: إن الصيد الثمين الذي يمكن أن يقود إلى مكان صدام هم قادة الحرس الشخصي والذين لم يتركوه حتى بعد سقوط بغداد.

الخيوط الأولى:

كانت المؤشرات الأولية التي بدأت تتجمع في آب / أغسطس ٢٠٠٣ الماضي تقول: إن هناك أشخاصاً أكدوا أنهم رأوا صدام في جنوب بغداد مرة ورأوه في تكريت مرة، وفي عدة مناطق أخرى. وهكذا راح الفريق الجديد للمخابرات الأمريكية في العراق بقيادة سوارزكيفان يجمع خيوطاً من المعلومات حول الأشخاص الذين يروون تفاصيل تحركات صدام، وكذلك كيفية مشاهدته والأشخاص الذين كانوا يحرسونه. كانت المخابرات الأمريكية قد جمعت أكثر من ١٠٠ صورة لـ١٠٠ شخص من الحراس السابقين لصدام والمرافقين لتحركاته وأقربائه، وكانت هذه الصور يتم عرضها على الأشخاص الذين يدلون بمعرفتهم لصدام وقربهم منه. وكان السؤال المطروح عليهم هو كيف رأوا صدام؟ وكان السؤال الأكثر إلحاحاً هو عن الأشخاص الذين يقومون بحراسته ومرافقته وأوصاف هؤلاء الأشخاص والأماكن التي يترددون عليها. لم تكن المخابرات الأمريكية وحدها التي تواصل عملية البحث عن الرئيس العراقي، كان يعاونها أيضاً فريق من الاستخبارات الإسرائيلية مكون من عشرة أفراد بمن فيهم رئيس قسم العمليات والاستطلاع بجهاز الموساد. وهكذا وبعد تحقيقات مكثفة وعرض صور الحراس على المقبوض عليهم، تأكد لدى المخابرات الأمريكية والإسرائيلية أن صدام لم يبق

إلا على اثنين فقط لحراسته، وأنه استبعد كل الآخرين وقد تطابقت الأوصاف التي أدلى بها هؤلاء عن الحراس مع رؤية بعض الأشخاص للرئيس في تكريت وآخرين عن رؤيتهم له في الرملة وكذلك في كركوك، وتحدث المقبوض عليهم عن أن هذين الحارسين كانا من أكثر الذين يثق فيهم الرئيس صدام. تركزت التحقيقات بعد ذلك في معرفة كافة التفاصيل عن تحركات هذين الشخصين والسعي من أجل القبض عليهما وأسرهما. وتجمعت المعلومات التي ساعد فيها أفراد من المخابرات العراقية، واستطاع الفريق الأمريكي الإسرائيلي القبض على واحد من المقربين للرئيس صدام واسمه عصامي عبود، في أواخر آب / أغسطس ٢٠٠٣ وجرب معه الأمريكيون والإسرائيليون كافة أساليب التعذيب والقهر النفسي لمعرفة مكان صدام إلا انهم فشلوا في البداية، وتحت ضغوط نفسية وبدنية عنيفة استمرت ١٨ يوماً متصلة اعترف عصامي عبود بأحد المخابئ المهمة لصدام في جنوب بغداد.

وشكل اكتشاف هذا المخبأ نقطة محورية وجوهرية في مسار الخطة الأمريكية التي التزمت بالسرية المطلقة، وقد وجد هذا المخبأ في منطقة مهجورة، وأن المخبأ كان يشبه المخبأ الأخير الذي عثر فيه على الرئيس صدام. كان المخبأ داخل غرفة ومنها إلى حجرة عميقة، وكانت الحفرة التي تؤدي إلى الحجرة العميقة تبدو وكأنها ضيقة مثل الحفرة التي وجد فيها صدام. وبناء على معاينة هذا المكان الذي حرص رجال المخابرات الأمريكية أن يحيطوه بالسرية الكاملة وكذلك دخوله والخروج منه بحذر شديد دون المساس بالمقتنيات التي كانت تبدو في غاية البساطة بداخله أدرك الفريق الأمريكي الإسرائيلي أن يدهم قد اقتربت من صدام. وأحس رجال الاستخبارات الأمريكية أن صدام يتعامل بذكاء شديد خلال زيارته لهذه المخابئ المهجورة، حيث إنه كان يضع علامات دقيقة للتأكد عما إذا كان أحد قد دخل إلى هذه المخابئ أم لا، وكان في اعتقاده وهواجسه الأمنية أن الأمريكيين سينصبون له كميناً في أحد هذه المخابئ. وقد أكد عصامي عبود خلال التحقيقات أنه ليس لديه علم إلا بثلاثة مخابئ أخرى في الرملة وكركوك وجنوب بغداد وبالتالي لم يكن

عصامي يعرف شيئاً عن مخبأ «الدور» في تكريت الذي عثر فيه على صدام حسين فيما بعد.

الموساد يشارك في البحث عن صدام:

بدأ الفريق الأمريكي الإسرائيلي يجري متابعة دقيقة ومكثفة للمخابئ الثلاثة التي أشار إليها عصامي عبود، إلا أن المتابعات أكدت أن صدام لم يتردد عليها نهائياً مما جعل القوات الأمريكية التي كانت تراقب هذه المواقع يتأكد لديها أن هذه المخابئ مهجورة، وأن المعلومات التي أدلى بها عصامي ليست دقيقة. كانت هناك في المقابل وجهة نظر أخرى تشير إلى أن هناك عدداً آخر من هذه المخابئ وفي مناطق متفرقة من العراق، وأن صدام يستخدمها بالفعل؛ لأنه لم يعد لديه أمل في استخدام مخابئ القصور الرئاسية أو المخابئ الأخرى الشهيرة التي تتحمل ضربات القنابل الأكثر شراسة. كان الجنرال آروس بيكومان أحد أبرز رجال فريق الاستخبارات الإسرائيلية هو أول من أشار إلى ضرورة البحث عن هذه المخابئ داخل تكريت والمناطق المهجورة حولها وخاصة لدى أقربائه، لأن هذه المخابئ من المؤكد أنه سوف يتم حمايتها بأشخاص يثق فيهم صدام كثيراً ويتحرك وسطهم بنوع من الأمان.

وكان التقرير الذي أعده آروس، مثار بحث دقيق من الاستخبارات الأمريكية وقيادة الفرقة العسكرية الرابعة التي كانت مكلفة بعملية القبض على الرئيس صدام، وكانت هذه الفرقة قد زودت بعناصر من الكوماندوز الأمريكيين يدعمهم أربعة من الطيارين الكوماندوز الإسرائيليين الذين كانوا سيكلفون باستخدام طائرات أمريكية لضرب السيارات التي ستهرب من موقع القتال في حال إدارة معركة طويلة أثناء عملية القبض على الرئيس صدام، وذلك بذات الطريقة التي يقومون بها بضرب القيادات الفلسطينية وكوادر المقاومة في الأراضي الفلسطينية خلال تنقلهم بالسيارات. وقد رأى آروس، في تقريره أن المكان الذي سيختبئ فيه

صدام لن يثير أي شكوك، وأن الحراسة الأمنية ستكون بعيدة عنه، وأن هذه الحراسة ستكون من أقربائه والمحيطين به.

وبناء على هذا التقرير تم التوجه إلى اعتقال أقارب صدام وأصهاره والحراس الذين كانوا قريبين منه والذين هم من أصول تكريتية. كان واضحاً أن الخطة الأمريكية الجديدة ستقود حتماً إلى نتيجة هامة؛ ولذلك ظلت قاصرة فقط على بول بريمر والجنرال ريكاردو سانشيز وقائد الفرقة الرابعة والفريق الذي سيقوم بعملية التنفيذ. كان الأمر يمضي بسرية مطلقة، وبدأت القوات الأمريكية في تنفيذ خطة اعتقال أقارب صدام والحرس المنتمي إلى تكريت بسرية بالغة، وكانت تمارس مع المقبوض عليهم كل وسائل الضغوط النفسية من أجل الاعتراف بمكان صدام، وكان عدد الذين سقطوا من آثار التعذيب وأبدوا استعدادهم للتعاون مع القوات الأمريكية خمسة أشخاص في هذا الوقت، ثلاثة منهم من أقارب صدام وواحد من الحرس وآخر من أصهاره.

الحفرة اللغز:

كان أحد هؤلاء المقبوض عليهم يمت بصلة قرابة مباشرة إلى صدام، كان أحد أخوال صدام قد مرض مرضاً شديداً، وعلم صدام بهذا المرض، فقام في وقت متأخر من مساء أحد هذه الأيام بزيارتين إلى خاله، وكان صدام يتحرك بثقة بالغة، حتى إنه في آخر زيارة أخذ معه ابن قريبه إلى أحد مخابئه وأعطاه خمسة آلاف دولار لاستكمال علاج والده. وكانت الفاجعة أن جرى القبض على هذا الابن في اليوم التالي والذي يبلغ عمره حوالي ٣٥ عاماً. مارست القوات الأمريكية ضغوطاً شديدة على هذا الشاب وعرضته لتعذيب نفسي وبدني رهيب حتى يعترف على المخبأ الذي يتواجد فيه صدام.. وفي اليوم التالي كان الشاب يعترف، حيث أخذهم إلى أحد المواقع المعينة وأشار إلى منزل من طابقين وأكد لهم أنه ظل خارج هذا المنزل عندما قام بتوصيل الرئيس صدام وتسلم منه مبلغ الخمسة آلاف دولار. وقد داهمت القوات الأمريكية هذا المنزل وقامت بتفتيشه تفتيشاً دقيقاً استمر لثلاثة

أيام في تشرين الأول / أكتوبر ٢٠٠٣، وانتهى الأمر إلى اكتشاف مخبأ مهم في هذا المنزل، وكان المخبأ يشير إلى وجود حفرة تؤدي إلى اتساع نحو حجرة يمكن أن ينام فيها شخص، ومن أعلى كانت الحفرة مغطاة بالحشائش. وقد عثر رجال الفرقة الرابعة على آثار حديثة للأكل وآثار أخرى تدل على أن صدام يعتاد الإقامة في هذا المنزل، وكان ذلك كفيلاً بأن يؤكد للأمريكيين والإسرائيليين أن الصيد الثمين اقترب. في سرية تامة تم نصب عدة كمائن من أجل الالتفاف حوله والقبض عليه، وقد استمرت هذه المراقبة أسبوعاً دون أن تسفر عن شيء. كان لدى رجال الاستخبارات الأمريكية شك بأن صدام ربما أخذ علماً بالهجوم الأمريكي على هذا المخبأ، خاصة أن صدام لديه رجاله وهو إذا عرف أن الأمريكيين هاجموا موقعاً فهو لا يزوره أبداً مرة أخرى.

وفي اليوم الثامن من مراقبة المنزل كانت المفاجأة، اقترب أحد حراس صدام وكان من أقربائه من المنزل، كان هذا الشخص يبدو أنه مكلف من صدام لاستطلاع المنزل والتأكد من أمنه، دخل هذا الشخص إلى المنزل بعد أن تأكد من عدم وجود أحد خلفه، ثم اختفى عن الأنظار. في هذه اللحظة كان هناك رأيان يتصارعان لدى أوساط الفرقة الرابعة، رأي يقول بالقبض على هذا الشخص وإجباره على الاعتراف بمكان صدام الذي يختبئ فيه.. ورأي آخر كان يرى أن يترك هذا الشخص ويتابع للوصول إلى المكان الذي يختبئ فيه صدام في الوقت الحالي. وبسرعة البرق تم ترجيح وجهة النظر الأولى فتم القبض على هذا الشخص، وأمام التعذيب الرهيب والتهديد بالقتل بطرق شنيعة انهار هذا الحارس بسرعة كبيرة واعترف بأن صدام سيأتي إلى مخبئه في هذا المكان بعد وقت قصير للغاية. نقطة أخرى ساعدت على تحديد المنطقة التي يتردد عليها صدام حسين، فقد استخدمت الفرقة الرابعة أحدث أجهزة التقاط الاتصالات السلكية واللاسلكية، وأن هذه الأجهزة تم نشرها في مساحة تقدر بأربعة كيلو مترات حول المنطقة التي يمكن أن يتواجد فيها صدام، وأن نوعيات هذه الأجهزة الحديثة تم استخدامها في وقت

سابق بأفغانستان وحققت نجاحات كبرى أثرت على شبكة الاتصالات لتنظيم القاعدة حتى إن قيادات القاعدة تخلت تماماً عن الاتصالات بالمحمول أو التليفون الثابت.

الاتصال الخارجي:

وقد رصدت الاستخبارات الأمريكية اتصالاً خارجياً يعتقد أن صدام أجراه مع شخص ما من مكان ما في المنطقة ومن داخل سيارة متحركة وهو أمر أكد للأمريكيين وجود صدام في هذا المكان.. وأن الذي جزم بأن هذا هو صوت صدام كان طارق عزيز، والذي أخبر أيضاً أن الطرف الآخر في الاتصال هو زوجته التي كانت تناديه باسم أبو عدنان، وأن الاتصال استمر حوالي ١٠ دقائق.

لم يكن هناك متسع من الوقت لدى صدام، فقد كان هو الآخر على مقربة من المكان، ويبدو أنه شعر بالخطر من المكان الذي كان يختبئ فيه قبل وصوله؛ لذلك مضى إلى مخبئه ظناً منه أن حارسه يعد المكان.. ولم تكن لديه فكرة أن هذا الشخص قد ألقي القبض عليه من القوات الأمريكية، وإلا لاتجه إلى مكان آخر. دخل صدام إلى المنزل ومعه اثنان من حراسه، وحاول الشخص المقبوض عليه والذي يكنّ حباً كبيراً للرئيس صدام أن يضلل الأمريكيين بعيداً عن الحفرة، إلا أن القوات الأمريكية كانت قد توصلت إلى كل المعلومات من قبل حول الحفرة التي تؤدي للغرفة. في هذه اللحظة تأكد قائد العملية الأمريكية أنهم فعلاً في طريقهم للقبض على صدام، كان ذلك في تشرين الأول / أكتوبر٢٠٠٣ وبدا القائد الأمريكي أمام احتمالين: الأول أن يكون صدام محصناً بحراسة قوية وأن يدخل الجنود في معركة قوية وواسعة وهو أمر قد تترتب عليه خسائر فادحة في صفوف قواتهم. الثاني أن يكون صدام وحيداً مع حارسيه كما أكد ذلك الشخص الذي ألقي القبض عليه. كان الأهم من وجهة نظرهم هو القبض على صدام وعدم تمكينه من الهروب حتى لو أدى الأمر إلى قتله.

كانت الفكرة جهنمية، طرحها واحد من قادة الفريق الأمريكي لماذا لا نلقي القبض عليه بواسطة هذا الشخص، انتبه قائد العملية للأمر وتساءل بلهفة.. كيف؟! كان صدام قد كلف هذا الشخص بإحضار كميات من الطعام حسب اعترافات الحارس للقوات الأمريكية له ولاثنين من مرافقيه، هنا كانت الفكرة، قامت القوات الأمريكية بشراء الطعام المطلوب وتم حقنه بمواد مخدرة تؤدي إلى النوم العميق. بعد وقت قصير قام هذا الشخص الذي كان يسير وفقاً للرغبات الأمريكية بحمل الأطعمة التي كلف بشرائها، دخل المنزل، وأعطى الأطعمة لواحد من مرافقي صدام الشخصيين وهم بالانصراف العاجل مدعياً وجود أمر طارئ له في المنزل وأنه سيعود ليلاً. بعد نحو ساعتين من تناول الأطعمة، كانت المخابرات الأمريكية قد بدأت في استحضار أجهزة حديثة تأكد من خلالها الأمريكيون أن الأطعمة تم تناولها بالفعل.. وعلى الفور قامت القوات الأمريكية بمهاجمة المنزل حيث وجدوا الجميع في حالة نوم عميق، فقد كانت الأطعمة مخدرة بنسبة عالية. كان هناك مصور بكاميرا للفيديو وأخرى للتصوير يقوم بالتقاط المشاهد خطوة بخطوة. ثم حمل الثلاثة (صدام ومرافقاه) وهم في حالة نوم عميق، الآن تأكد قائد الفرقة الرابعة أن من ألقي القبض عليه هو صدام حسين بالفعل..

جرى التكتم على الأمر وأبلغ بريمر وسانشيز، الكل في حالة ذهول. وعلى الفور جرى إبلاغ رامسفيلد، الذي أبلغ الرئيس بوش بدوره، وتم الاتفاق على أن يقوم بريمر وبعض القادة العسكريين باصطحاب صدام إلى واشنطن وعدم الإعلان نهائياً عن عملية القبض، بل إن بوش طلب منهم إطلاق التصريحات التي تؤكد صعوبة العثور على صدام حسين، من هنا كانت تصريحات بريمر وسانشيز وقادة آخرين كانوا يرددون دوماً أن البحث عن صدام كالبحث عن إبرة وسط كومة من القش. يومها أبدى المراقبون دهشتهم من معنى وفحوى هذه التصريحات، إلا أن كافة التحليلات قادت إلى رؤية واحدة تقول إن القوات الأمريكية غير قادرة على الإيقاع بالرئيس العراقي، وإن اليأس أصابها من ندرة المعلومات، وإن الرجل تاه

وسط الزحام وأصبح العثور عليه هو بالفعل كمن يبحث عن إبرة في كومة من القش!!

وصول الطائرة إلى واشنطن:

الآن وصلت الطائرة التي تقل بريمر ومعه صدام حسين إلى واشنطن.. تم اصطحاب صدام حسين في سرية بالغة إلى مكان ما داخل العاصمة الأمريكية. كان بوش يريد أن يرى صدام ذليلاً راكعاً قبل الإعلان عن خبر اعتقاله، وهذا هو السر الحقيقي في اصطحاب صدام إلى الولايات المتحدة. كان رامسفيلد هو الذي طلب من رجاله في العراق أن يأتوا بصدام حسين إلى واشنطن بأقصى سرعة. ومنذ القبض على صدام الذي رحل في سرية إلى زنزانة معزولة بالقرب من مطار بغداد قبل السفر إلى واشنطن وهو يحصل على جرعات مكثفة من الحقن المخدرة التي تذهب بالعقل في بعض الأحيان تجعل من يتعاطاها يدخل في نوم عميق لفترات طويلة.

كانت هذه الحقن المخدرة تحتوي على خلطة من الهيروين والكوكايين بالإضافة إلى مواد كيماوية أخرى، والمدهش أن هذه المادة المخدرة ليست من إنتاج المخابرات الأمريكية وإنما هي إنتاج إسرائيلي صرف، وأن المخابرات الإسرائيلية درجت على استخدامها مع القادة الفلسطينيين الذين يتم إلقاء القبض عليهم واستجوابهم. كانت الجرعات المكثفة رهيبة ومؤثرة للغاية، فبعد أن يسلم المتعاطي نفسه للنوم العميق عندما يصحو يشعر بأنه مسلوب الإرادة وغير قادر على تذكر الأحداث، كما أنها تشيع التفاؤل لدى الشخص فيتحدث وكأنه مع أصدقائه ومعارفه، أما الشخص الذي يعتاد على هذه الحقن التي تسمى (سيراكس) فهو على استعداد لأن يفعل أي شيء مقابل الحصول على جرعة منها، وأن الأمريكيين بدؤوا في استخدام هذا النوع من الحقن منذ اللحظة الأولى لاعتقال صدام.

السؤال.. لماذا؟

ثمة سؤال يطرح نفسه عليك الآن عزيزي القارئ:

وما الذي دفع الإدارة الأمريكية أن تتأخر في إعلان نبأ القبض كل هذا الوقت؟. كانت الرؤية في البداية أن يدعو الرئيس بوش إلى مؤتمر صحفي عالمي في البيت الأبيض وبجواره بريمر يعلن فيه عن خبر اعتقال صدام. وفي هذا المؤتمر كانت هناك مفاجأة من النوع الثقيل تذكرنا بمفاجآت رامبو، الهوليودية، فخلال المؤتمر وفي ذروته كان بوش سيقدم للعالم مفاجأة من النوع الثقيل كصدام حسين داخل قفص حديدي. وكان الذين سيقومون بأداء هذا المشهد هم جنود الوحدة الرابعة مشاة بالإضافة إلى قائد العملية الذين نفذوا الخطة ونجحوا في إلقاء القبض على صدام حسين. وكان بوش ينوي أن يقدمهم فرداً فرداً إلى الرأي العام خلال مؤتمره الصحفي، وأن يكون صدام داخل القفص الحديدي مخدراً إلى حد سلب إرادته تماماً. كان هذا هو التخطيط الأولي الذي طرحه رامسفيلد على الرئيس جورج بوش، وكان بوش في البداية يبدو مقتنعاً بهذا السيناريو السينمائي المثير وذلك حتى تظهر أمريكا أمام العالم وكأنها اليد الأقوى التي أنهت أسطورة صدام داخل قفص حديدي.

بعد وصول بريمر إلى العاصمة الأمريكية مصطحباً صدام عقد الرئيس بوش اجتماعاً مع مستشاريه ومساعديه في حضور بريمر وقيادات الأمن القومي والقيادات العسكرية في العراق، وشارك في هذا الاجتماع رامسفيلد ورايس وباول. وكانت كونداليزا رايس مستشارة الأمن القومي متحمسة لفكرة دونالد رامسفيلد وزير الدفاع في إظهار القوة الأمريكية وظهور صدام في حديقة البيت الأبيض أمام وسائل الإعلام داخل القفص الحديدي. طلبت كونداليزا رايس أن يجري إعداد مسرح وتتم تغطيته بأغطية من كل جانب على شكل ستائر، وأنه وبعد عشر دقائق من استرسال بوش في خطابه أمام المؤتمر الصحفي وبجواره بريمر والقائد العسكري سانشيز، يعلن الرئيس الأمريكي لحظة الانتصار الحاسمة باعتقال صدام، وفي هذه اللحظة تحديداً يتم الكشف عن صدام مكبلاً داخل القفص الحديدي.

كان كولن باول وزير الخارجية يبدو غير مقتنع بحديث رامسفيلد وكونداليزا رايس، أبدى اعتراضه الشديد على سيناريو القفص الحديدي واعتبر أن تنفيذ ذلك السيناريو لن يكون موجهاً ضد صدام وإنما رسالة موجهة لكل الشعوب العربية، وقال بلهجة غلبت عليها الحدة: إن هذا المشهد الذليل لن يقبله العراقيون أنفسهم بل حتى أعداء صدام سيرفضونه، وأن ذلك سيؤدي إلى حدوث اضطرابات أمنية بالغة قد تصل إلى حد الثورة في داخل العديد من البلدان العربية. وتحدث بول بريمر قائد الإدارة المدنية الأمريكية في العراق وأيد وجهة نظر كولن باول، وطلب ضرورة مراعاة الحالة النفسية للعراقيين الذين حتى وإن اتفقوا على عدم حبهم لصدام إلا أنهم سيرفضون إذلاله إلى هذا الحد. أما رامسفيلد ورايس فقد كانت وجهة نظرهما أن هذا الإذلال سيؤثر على معنويات المقاومة العراقية وينال منها، وأن ذلك من شأنه أن يدفع كل هذه العناصر إلى إلقاء السلاح بعد ذلك، وأن هذا هو الذي سيعجل باستقرار الأوضاع على الساحة العراقية.

منطق بريمر:

هنا تدخل بول بريمر وقال العكس هو الصحيح، فمثل هذا الأسلوب سيزيد من حدة المقاومة العراقية وعملياتها الانتحارية ضد الأمريكيين، وأن الجنود الأمريكيين إذا كانوا مستهدفين بنسبة ٥٠ ٪ من أفراد الشعب العراقي فإنهم سيكونون مستهدفين بعد هذا الإعلان بنسبة تفوق ٩٠ ٪. وقد أيد أحد قادة القوات الأمريكية في العراق ما طرحه بول بريمر، وقال: إن الأوضاع معقدة للغاية في العراق، وإنه إذا كان صدام مسؤولاً عن جزء من المقاومة إلا أنه لا يمثل الفصيل الرئيسي في هذه المقاومة المتشعبة، وإن صدام لم يعد ذلك الرجل القوي الذي تخشاه القوات الأمريكية في العراق، كما أن أنصاره مشتتون وليسوا عناصر قوية. ورأى باول أن ذلك الطرح يعبر عن وجهة نظر سليمة، وأن المهم الآن هو كيفية الاستفادة من هذا الشخص يقصد صدام ليجيب عن كل الأسئلة الأمريكية الحائرة. واقترح باول في هذا الإطار أن يتم تأجيل الإعلان نهائياً عن اعتقال صدام، بل وأن يتصرف بول بريمر وكل المعنيين على أنهم

مازالوا يبحثون عن صدام حتى تنتهي المخابرات الأمريكية بالتعاون مع الأمن القومي تماماً من التحقيقات مع صدام، على أن تبقى هذه التحقيقات سرية ودون إعلان.

كانت وجهة نظر باول، مفاجأة للجميع، وبعد أن أسهب في شرح المبررات انضمت أغلب القيادات العسكرية التي حضرت هذا الاجتماع إلى ما طرحه كولن باول. وقد أيد بول بريمر بدوره وجاهة هذا الرأي، وقال: إنه بعد الإعلان عن اعتقال صدام فإن العراقيين وكل الدول العربية سيرفضون أن يتحرك صدام بعيداً عن العراق، وإنه إذا أعلن أنه سافر إلى واشنطن للتحقيق معه فسنواجه بضغوط دولية مكثفة من أجل الإعلان عن نتائج هذه التحقيقات أو المطالبة بأن يتولى هذه التحقيقات العراقيون أنفسهم، الذين سيرفضون بدورهم أن تجري محاكمة صدام في داخل الأراضي الأمريكية. فيما رأى آخرون أن عدم الإعلان عن اعتقال صدام سيوفر الهدوء للأجهزة الأمريكية في الحصول على اعترافات مهمة من صدام خاصة فيما يتعلق بإمكانيات وجود أسلحة دمار شامل أو خريطة المقاومة العراقية وأسرار أخرى عن علاقته بعدد من الملوك والرؤساء العرب وبعض قادة دول العالم، وكذلك مصادر تمويل الأسلحة العراقية في وقت الحظر الذي كان مفروضاً على العراق، وأيضاً صلة صدام بقادة الدول الأوروبية وخريطة مبتكرات وتطورات الأسلحة البيولوجية العراقية، وغير ذلك من الموضوعات الهامة التي يجب إغلاقها نهائياً قبل الإعلان عن اعتقال صدام.

وكان من رأيهم أن يتم التحقيق معه من الآن داخل الولايات المتحدة، ثم يعاد مرة أخرى إلى العراق ليتم الإعلان عن اعتقاله من هناك. وتطرق حديث القادة مع الرئيس الأمريكي حول مغزى الإعلان عن اعتقال صدام أو تأجيله على عمليات المقاومة العراقية، حيث كان رامسفيلد وكونداليزا رايس يريان أن الإعلان سيؤدي إلى خفض حدة العمليات العسكرية، وأن المقاومة العراقية يمكن أن تتوقف أو تستسلم للقوات الأمريكية، وأن هذا سيمهد الطريق للاستقرار السياسي في العراق، إلا أن ديك تشيني نائب الرئيس والآخرين رفضوا هذه الرؤية لأن الإعلان

عن اعتقال صدام سيعطي الفرصة لقادة المقاومة العراقية للهروب من الأراضي العراقية، بل إن إبقاء خبر اعتقاله سراً سيمكن القوات الأمريكية من اعتقال كافة عناصر وقيادات المقاومة العراقية التي تبدي تعاوناً ملحوظاً مع صدام. وعبر هذا الفريق عن وجهة نظره بأنه وبعد انتهاء عمليات المقاومة فإن الجيش الأمريكي في حاجة إلى المزيد من الضبط والحرص الأمني، وكل ذلك يستوجب فترة لإعادة ترتيب الوقت. وبعد نقاش طويل اقتنع الرئيس بوش بوجهة النظر تلك ووافق على تأجيل الإعلان عن القبض على صدام حسين. في هذه الفترة منذ القبض عليه وحتى قبيل نبأ الإعلان بقليل في ١٤ كانون الأول / ديسمبر ٢٠٠٣ كانت قد مضت عدة أسابيع خضع فيها الرئيس العراقي لتحقيقات مطولة ومكثفة مع عناصر المخابرات الأمريكية التي قامت بنقله إلى أحدث مراكز المخابرات الأمريكية في فرجينيا، وأدخل لعدة مرات على أجهزة الكشف عن الكذب.

ضغوط رهيبة:

ورغم كافة الإجراءات والضغوط والحقن المخدرة فإن صدام لم يبد أي نوع من التعاون مع فرق المحققين الأمريكيين الذين توالوا عليه صباحاً ومساءً. جربوا معه كل أنواع الضغوط النفسية والإغراءات الأخرى من أجل انتزاع المعلومات، إلا أن إجابة صدام على كافة التساؤلات كانت مقتضبة وتتميز بالحدة في كثير من الأحيان، وكثيراً ما كان يصف محققيه بأنهم جبناء وأنذال وأنهم محتلون ليس للعراق فقط، ولكن لكل العالم، وكان دائماً ما يتوعدهم بضربات قاتلة سوف يسددها إليهم العراقيون.

سأله المحققون صراحة عن بعض المواد الأمريكية التي تسلمها أثناء الحرب الإيرانية العراقية والتي كانت مخصصة لإنتاج أسلحة دمار شامل، إلا أن صدام أكد لهم أن هذه المواد لم يعد لها أثر منذ انتهاء الحرب مع إيران.. وقد رفض صدام الإجابة عن التساؤلات المرتبطة بالأوضاع الداخلية في العراق أو الشخصيات القوية التي يمكن أن تعتمد عليها الولايات المتحدة في داخل العراق أو تلك التي لا

تزال تتعاون معه. وكانت أكثر الضغوط التي مورست على صدام نفسياً هي تلك التي أرادوا من خلالها الحصول على إجابة واضحة عن المكان الذي يحتفظ فيه بمعدات الجيش العراقي ودباباته التي تزيد عن ألفي دبابة ومئات الطائرات التي اختفت فجأة، والكثير من الأسرار الأخرى المرتبطة بالتشكيلات العراقية.

كان صدام يرفض بإصرار، فحاولوا إغراءه بإبدائهم الاستعداد للإفراج عنه والعيش سراً في أمريكا دون إعلان إذا ما اعترف صراحة وأقر بمكان هذه الأسلحة والمعدات إلا أن صدام رفض الحديث نهائياً.

كان رامسفيلد يتابع بنفسه مع جورج تينيت رئيس جهاز الاستخبارات الأمريكية وقائع التحقيقات مع صدام حسين، وكانا يتساءلان دوماً من أين له بكل هذه القوة في الصمود؟ لماذا يرفض التعاون وتقديم المعلومات عن شعب تخلى عنه ورفاق خانوه ومعدات لم تجد نفعاً. حاولوا إقناعه بالحديث عن أسلحة الدمار الشامل وقالوا له إذا أنقذت الرئيس بوش من مأزقه فسنوفر لك كل ما تريد.. إن الأمر لن يكلفك شيئا سوى أن تقر بأنك تخلصت من أسلحة الدمار الشامل قبل الحملة الأمريكية على العراق مباشرة، إلا أن صدام كان يسخر كثيراً من هذه الادعاءات ويقول: لن أجعل بوش يهنأ بانتصار وهمي وكاذب.. لن أبيع بلدي العراق حتى ولو وقفت وحيداً، وحتى لو خانني كل الرفاق والأصدقاء، بل وحتى لو أعلن الشعب العراقي كله التبرئة مني. كانت إجاباته مذهلة وكان صموده أسطورياً؛ لذلك لم يتردد دونالد رامسفيلد لأن يخرج في أكثر من تصريح بعد إعلان القبض على صدام ليقول إنه شخص غير متعاون، ولا يزال يتمسك بكل مواقفه، وهو ما كرره أيضا أعضاء مجلس الحكم الانتقالي الذين التقوه في أعقاب القبض عليه بقليل.

العودة إلى العراق مرة أخرى:

بعد حوالي الشهر تقريباً أعادوا صدام إلى العراق مجدداً، جاء على متن طائرة خاصة وحوله عدد من كبار ضباط الـ(سي.آي.إيه) والفرقة الرابعة الأمريكية

مشاة وعدد من الخبراء الأمنيين الإسرائيليين. بعدها بقليل قرر جورج بوش أن يزور العراق سراً بعد أن أدرك أن الأوضاع الأمنية تتجه ظاهراً إلى الاستقرار باعتقال صدام حسين، فكانت نشوته واضحة، لكنه لم يرد أن يعلن نبأ القبض على صدام في هذا الوقت، ولحين إتمام المهمة كاملة حسب الاتفاق. لقد كان ملحوظاً بدرجة كبيرة أن الزيارة المفاجئة التي قام بها بول بريمر إلى واشنطن يوم الإثنين العاشر من تشرين الثاني / نوفمبر ٢٠٠٣، أي قبل ما يقارب ستة أسابيع من الآن مرتبطة ببحث موضوع صدام، حيث التقى فور وصوله مع الرئيس الأمريكي جورج بوش وكبار مسؤولي الأمن القومي على الرغم من أنه ـ ووفقاً لتصريح أدلى به مسؤول رفيع في وزارة الدفاع الأمريكية البنتاجون ـ كان من المقرر أن يوجز بريمر للإدارة الأمريكية وعبر الهاتف الخطط المتعلقة بما وصف تحريك مجلس الحكم العراقي قدماً، وأضاف مسؤول البنتاغون قوله: إن بريمر أراد بشكل ما أن يقضي وقتاً أكثر مع رامسفيلد الذي كان من المقرر أن يغادر واشنطن آنذاك في جولة آسيوية. ويبدو أن مرور فترة زمنية كافية على اعتقال صدام، واستمرار هجمات المقاومة في تصاعدها بالرغم من ذلك هو الذي دفع بول بريمر لأن يدلي بتصريحات في الخامس من كانون الأول / ديسمبر ٢٠٠٣ يتوقع فيها تزايد الهجمات ضد القوات الأمريكية، حيث تزامنت تلك التصريحات مع قيام وزير الدفاع الأمريكي دونالد رامسفيلد بزيارة مفاجئة للعراق.

لغز البلح الأصفر:

وبعد ثلاثة أيام فقط من تصريحات بريمر كان الجنرال ريكاردو سانشيز قائد القوات الأمريكية في العراق يدلي بتصريحات يقول فيها: إن اعتقال أو قتل الرئيس العراقي صدام حسين لن يضع حداً لهجمات المقاومة العراقية. مضت الأيام ثقيلة، بول بريمر ينتظر لحظة الإعلان بفارغ الصبر، وجاءت الساعة، وكان الإعلان الذي قدم فيه شريط الفيديو الخاص بعملية القبض على صدام حسين. ويبدو أن نشوة النصر جعلت الأمريكيين يكشفون عن غير قصد عن كذب الرواية التي رووها عن

عملية اعتقال صدام حسين. فبعد مضي كل تلك الفترة من القبض على صدام كانت أمور كثيرة قد تغيرت، ولكنهم نسوا أن يقوموا بتجديد الصور التي أخذوها أثناء اعتقال الرئيس العراقي.. وجاءت الصور التي أذيعت على شاشات الفضائيات لتكشف حقائق المسكوت عنها في عملية القبض والاعتقال. كانت البداية هي البلح الأصفر الذي دللت عليه الصورة التي التقطت للمنزل والحديقة والأماكن المجاورة، إن كل من تابعوا مشهد الفيلم الذي تمت إذاعته ودققوا النظر في هذه الصورة تساءلوا عن هذا البلح الأصفر ومعناه، خاصة أن أمريكا تعلن أن عملية القبض تمت مساء ١٤ كانون الأول / ديسمبر، فهل هناك بلح أصفر في ١٤ كانون الأول / ديسمبر؟! إن كل من يعرفون العراق يعرفون أن البلح الأصفر يظهر في الفترة من تموز/ يوليو إلى تشرين الأول / أكتوبر من كل عام، ثم يختفي بعد ذلك؛ ولذلك كان هذا الأمر هو الدليل الأول، بل والحاسم الذي يكشف عن كذب الرواية الأمريكية في الصميم. وهناك أيضاً الصور التي تم بثها للرئيس صدام حسين والتي بدا فيها الرئيس ذا شعر طويل، غير مهذب ولحية طويلة غير منظمة، حيث كشفت الصور عن قيام الأمريكيين بصبغ شعر رأس صدام باللون الأسود واختفاء الشيب تماماً، في حين أنهم لم يراعوا ذلك بالنسبة للحيته. فظهر فيها الشيب واضحاً، وتساءل الناس عن معنى وجود شعر للرأس بلا شيب بينما شعر للحية يبدو فيه الشيب واضحاً ناهيك عن بقية المشاهد التي جرى سردها.

المأزق

بقي أخيراً القول: إن قضية صدام حسين تحولت إلى مأزق يواجه الرئيس الأمريكي، هكذا تحدث أحد المحللين الإستراتيجيين؛ فالرئيس الذي ظن أن القبض على صدام يمكن أن يساعد في إنقاذ شعبيته المتدهورة في الداخل الأمريكي وجد نفسه أمام السؤال الكبير: ماذا يفعل وكيف يتصرف إزاء صدام حسين؟ البنتاغون يرى ضرورة التخلص من الرئيس العراقي نهائياً وقتله عبر التأثيرات المخدرة؛ لأن صدام حتى وهو رهن الاعتقال إلا أنه مازال يمثل خطراً على الأمن العالمي خاصة

أن لديه معلومات مهمة عن اتصالاته مع الرؤساء الأمريكيين السابقين والعديد من قادة العالم، وأن هذه الاتصالات لن يتم الكشف عنها؛ لأنها تتضمن العديد من الأسرار التي لا يجوز الاطلاع عليها أو الإفصاح عنها خلال تلك الفترة. ويرى قادة البنتاغون أن صدام يمكن أن يعلن عن هذه الأسرار إذا أتيحت له الفرصة للحديث إلى وسائل الإعلام، وأن أكثر ما يهم الإدارة الأمريكية هو بعض الاتصالات السرية التي جرت بين بوش الأب وصدام حسين، وكذلك مضمون هذه الاتصالات التي تكشف عن جانب مهم في عملية الغزو العراقي للكويت، وأن صدام لا يزال يحتفظ بهذه الأوراق كأداة ضغط على الجانب الأمريكي حتى الآن.

ويرى البنتاغون أن هذه الوثائق التي لم يعثر على أي منها في القصور الرئاسية لا تزال تمثل اللغز الأكثر إثارة لدى الجانب الأمريكي الذي يريد الاطلاع عليها، وأن الرئيس بوش الابن يريد الحصول على هذه الوثائق بأي شكل، وأن والده يعتبر أن قتل صدام أفضل من الحصول على هذه الوثائق وكشفها.

وتتخوف الإدارة الأمريكية من أن يكون صدام قد أعطى هذه الوثائق السرية لشخص ثان مازال يحتفظ بها حتى الآن، وأن صدام هو فقط المعني بالكشف عن أمر هذه الوثائق.

تلك هي الحقيقة التي تكشف زيف ادعاءات بوش وإدارته، وكذب السيناريو الركيك الذي أعد لإخراج فيلم روائي يكشف مدى جهل وتخلف العقليات التي تقف من ورائه، وتلك التي تسير في فلكه[1].

ومع تضارب الروايات قد تفرج الولايات المتحدة في المستقبل عن بعض الوثائق التي تبين لنا حقيقة وكيفية اعتقال الرئيس العراقي السابق، أو أن ينطق الرئيس السابق صدام حسين بنفسه عن كيفية اعتقاله حتى يبين لنا الحقيقة.

---

(١) صحيفة اليوم السعودية ـ السبت ١٨-١١-١٤٢٤هـ الموافق ١٠-١-٢٠٠٤م ـ صحيفة الأسبوع المصرية ٢٢ديسمبر ٢٠٠٣.

من مفاجآت التحقيق مع صدام الرئيس الأسير:

ذكرت صحيفة نيويورك تايمز: «قال المسؤولون الأمريكيون: إن صدام حسين نفى القيام بأي دور في قيادة المقاومة العراقية أو التخطيط لأي هجمات خلال فترة اختبائه، كما نفى امتلاك حكومته لأي أسلحة محظورة».

وبدأ المحققون في استجواب الرئيس العراقي السابق بعد عدة ساعات من وقوعه في الأسر، وقال المسؤولون الأمريكيون: إن التحقيقات الأولية ركزت على الكشف عما إذا كان لديه أية معلومات عن حرب العصابات التي تشنها المقاومة العراقية، على أمل الحصول على معلومات قد تساعد في منع وقوع الهجمات وكشف وتفكيك الخلايا المسؤولة عن هذه الهجمات.

كما وجهت لصدام حسين أسئلة عن البرامج العراقية لتطوير الأسلحة غير التقليدية، حسب ما ذكرت المصادر في الإدارة الأمريكية والبنتاغون ووكالة الاستخبارات المركزية، لكنه حتى الآن ينفي وجود أسلحة من هذا النوع. ويقول المسؤولون: إن نفيه يسير في الاتجاه نفسه الذي التزم به كبار المسؤولين العراقيين الذين أسروا في الأشهر الأخيرة، والذين ما زالوا يصرون على القول إن بغداد لم يكن لديها أية أسلحة غير تقليدية.

وقام المحققون الأمريكيون بالخطوة التي تتسم بشيء من الغرابة بالشروع مباشرة في استجواب صدام حسين حول القضايا الجوهرية؛ وذلك لأنه من ناحية كان يبدو عليه الإنهاك الذهني والجسدي، وعليه فهنالك احتمال ضعيف في لجوئه إلى مقاومة المحققين، حسب ما يرى المسؤولون الأمريكيون.

وقد هدد صدام حسين بأنه في حال استمرار الضغط عليه سيفجر حقائق مذهلة ستذهل العالم والمجتمع الدولي حول أوراق اللعبة السياسية الأمريكية مع بلاده، والدور الخفي الأمريكي لحربه على الكويت، والمطالب التي طلبتها أمريكا منه قبل تجميع الحلفاء للحرب على بلاده في حرب عاصفة الصحراء، ووجود وسطاء سياسيين بينه وبين بلاده قاموا بلعب دور قذر كما وصفه صدام حسين.

ويخيم الآن التردد والغموض حول ظروف ومكان محاكمة صدام، إذ يدعو البعض إلى محاكمته في العراق، في حين يطالب آخرون بمثوله أمام محكمة دولية مثل الزعيم اليوغوسلافي السابق سلوبودان ميلوسيفيتش.

لكن إدارة الرئيس بوش تعارض تشكيل محكمة دولية خاصة لمحاكمة صدام حسين خوفاً من أن تكشف مثل هذه المحاكمة أسراراً غير ملائمة عن علاقات التعاون التي كانت قائمة واستمرت سنوات بين أمريكا والرئيس المعتقل.

يقول الكاتب مجدي المصري: «ربما سيفكر صدام حسين على الأقل في طلب استدعاء وزير الدفاع الأمريكي دونالد رامسفيلد للإدلاء بشهادته حول رحلته إلى بغداد عام ١٩٨٣ حيث اجتمع به آنذاك.

ومن شأن استجواب عسير لرامسفيلد أن يؤدي إلى استحضار تفاصيل ذهابه بصفته مبعوثاً رئاسياً خاصاً في ذلك الوقت إلى بغداد وعرضه تقديم الدعم الكامل لصدام في حربه مع إيران، وكان رامسفيلد قد حمل معه في تلك الرحلة رسالة من رئيس الوزراء الإسرائيلي الأسبق إسحاق شامير يعرض فيها على صدام موافقة تل أبيب على بيعه أسلحة بأي كميات يريدها.

كما لا بد وأن الرئيس العراقي السابق ربما لا تزال لديه أيضاً رؤى باستدعاء مسؤولين تنفيذيين أمريكيين باعوه وسائل إنتاج أسلحة جرثومية أو قادة أمريكيين من سلاح البحرية قادوا الأسطول للقتال إلى جانبه ضد الزوارق والمقاتلات الحربية الإيرانية في مياه الخليج العربي عام ١٩٨٨.

وفي داخل العراق ربما، ربما بوسعه أن يذكر أعضاء مجلس الحكم العراقي المؤقت بتعاونهم الوثيق مع نظامه في الماضي، وخاصة الزعيم الكردي الذي تخلص ذات مرة من عدد كبير من اللاجئين الشيوعيين العراقيين بناء على أوامر صدام، وذلك مقابل مكافأة كبيرة له».

يقول خبير القانون الدولي والمستشار في جرائم الحرب جاك دولهوف: إن إعلان أمريكا أنها ستعامل صدام حسين كأسير حرب إنما أمر يتنافى مع أي نوايا لمحاكمة أمريكا له على أية جريمة يمكن أن تنسبها إليه، فأسير الحرب في العرف الدولي إنما كان في موقف دفاع عن أرضة وبلده، وهو موقف وطني بالنسبة لشعبه لا يمكن محاكمته عليه.

كما أن أسير الحرب لا يجب إجباره على الإدلاء بمعلومات عسكرية؛ لذلك يجب التوضيح هنا أن أمريكا لا تعني بمعاملتها لصدام كأسير حرب أنها تعطيه الحقوق القانونية التي يتمتع بها أسير الحرب وفقاً لاتفاقية جنيف، بل هي تعني أنها لن تقوم بتعذيبه أو إساءة معاملته، أي ستعامله معاملة إنسانية من تلك التي يتمتع بها أسرى الحرب، أما النواحي الأخرى كاستجوابه أو إجباره على الإدلاء بمعلومات تمس سيادة أو مصلحة بلاده أمنياً وعسكرياً، فأمريكا لا تلتزم بها الآن، بجانب عدم وجود ضمانات لاستخدام المحققين الأمريكيين لأساليب نفسيه مع صدام للحصول على ما تريده من معلومات.

لذلك يجب التأكيد من أن صدام ليس الآن أسير حرب، ولعل أمريكا ستعتمد في الرد على من يوجهون الانتقادات الدولية في هذا الشأن، بأنه قبض على صدام حسين بعد الانتهاء الفعلي للحرب العسكرية رسمياً، وأنه لم يتم أسره في ساحة المعركة، بل بعد انتهائها، حيث لا تعتبر أمريكا نفسها الآن في حالة حرب مع العراق، بل في مرحلة إقرار الأمن والسلام التي تعقب الحرب.

ويقول خبير القانون الدولي مستشار العلاقات الدولية مارك دير لينتا، إن هناك عدة سيناريوهات لمحاكمة صدام حسين، لكن السيناريو الذي يتفق عليه معظم رجال القانون في لاهاي، وهو الأقرب للواقع، وللاتهامات التي تحاصر صدام حسين، محاكمته أمام محكمة دولية.

ويجب أن تكون محكمة الجزاء الدولية «يوغسلافيا السابقة» نموذجاً تطبيقياً

للمحكمة التي يمكن تشكيلها لمحاكمة صدام، على أن تتم وفقاً لهذه الخطوات، يصدر بها قرار من الأمم المتحدة، يتم اختيار محكّميها وأعضاء هيئتها القانونية بصورة دولية تحت إشراف الأمم المتحدة.

وتقوم على ذات الأساس من المبادئ القانونية التي قامت عليها محكمة جرائم الحرب الماثل أمامها سلوبودان ميلوسيفيتش، وذلك من حيث كفالة الدفاع عن المتهم، أو السماح له بالدفاع عن نفسه بنفسه، أو أن تكلف المحكمة محامياً له، كما يتم من خلالها إمكانية جمع المعلومات والتحري والأدلة أثناء وبعد مثول المتهم أمام المحكمة، أي من الممكن أن تضاف ملفات وأدلة اتهام والمحاكمة قائمة بالفعل.

وأكد مارك أن حالة صدام حسين تتطابق مع حالة الرئيس اليوغسلافي السابق سلوبودان ميلوسيفيتش، فكلاهما متهم بتصفيات عرقية، حيث إن صدام متهم بجرائم تصفيات ضد الأكراد، كما أن كلاً منهما قام بأعمال تعذيب وتشريد لشعبة وللأقليات الموجودة به؛ لذلك يجب أن يكون ميلوسيفيتش نموذجاً لمحاكمة صدام، حتى تكتسب محاكمته مصداقية دولية في عدالة المحاكمة.

وأكد مارك أن محاكمة صدام دولياً ستتيح لكل الجهات والدول التي ستقيم دعاوى ضده أقامتها بالفعل، على أن تعامل كل قضية على حدة أمام المحكمة، ولكنها تصب في النهاية داخل ملف شامل من الاتهامات كما هو الحال مع ميلوسيفيتش.

وأشار مارك إلى أن ميلوسيفيتش وجهت له المحاكم الداخلية في يوغسلافيا اتهامات بالفساد والرشوة، وذلك إبان محاكمته في لاهاي؛ لذلك لن يكون هناك تعارض إذا ما عقدت محاكمة داخلية في العراق ضد صدام حسين ضد جرائم أو اتهامات ارتكبها ضد أفراد أو أشخاص عراقيين، على أن تجري بالتوازي محاكمته دولياً على جرائمه ضد الإنسانية وضد الأقليات الكردية، وأن يتم الاتفاق على دمج فترات العقوبات التي تصدر من كلتا المحكمتين الداخلية والدولية، وبذلك يكون كل طرف متضرر قد نال حقه قانونياً من صدام بسبب جرائمه المتعددة والمتنوعة.

واتفق أستاذ القانون الدولي بيرت دريكس مع مارك بقوله: إن محاكمة صدام على غرار محاكمة ميلوسيفيتش ستمنح ارتياحاً دولياً لكافة الدول التي أضيرت من نظام صدام، فهناك الكويت، وإيران، وكذلك إسرائيل، كل منها تريد إقامة دعوى ضده، ومن المؤكد أن كلاً منها لديها ملفات اتهامات ضده أيضاً، لذلك لن يتم إسكات الأصوات الدولية الغاضبة ضد صدام إلا بمحكمة دوليه؛ أما أن تتم محاكمته داخلياً في العراق، قد تحيطها شكوك أو شبهات دولية من هنا أو هناك، في وقت يطالب فيه الجميع بمحاكمة عادلة وعلنية لصدام.

ويوضح بيرت أن مثل هذه المحكمة الدولية يجب أن تقوم تحت رعاية الأمم المتحدة، وتضم قضاة عراقيين ومن دول مختلفة، ويجب التوضيح هنا أن هذه المحكمة تكون مختصة بالعراق وبمحاكمة صدام حسين ومعاونيه في نظامه السابق، حيث لا يمكن محاكمتهم أمام محكمة جرائم الحرب الدولية الدائمة الآن في لاهاي.

حيث ينص ميثاق المحكمة الدولية الدائمة لجرائم الحرب على محاكمة المتهمين الذين ارتكبوا جرائم حرب أو جرائم ضد الإنسانية بعد تاريخ إعلان إنشاء المحكمة أي بعد تموز / يوليو من العام المقبل، وبذلك لن يمكن محاكمة صدام أمامها على جرائمه التي ارتكبها في حق الأكراد أو حق شعبه قبل هذا التاريخ.

ويضيف بيرت أما السيناريو الثاني والمطروح الآن بقوة في العراق، هو محاكمته أمام المحكمة المختصة التي أنشئت قبل أيام لمحاكمة مجرمي الحرب، ومن ارتكبوا جرائم ضد الإنسانية، غير أن هذه المحكمة لن تف بالغرض الدولي المنادي بمحاكمته على جرائمه في حق دول الجوار، فلن يقبل العراقيون أو المحكمة العراقية محاكمة صدام حسين على جرائم حرب ارتكبها في حق الإيرانيين أو الكويتيين.

وأشار بيرت إلى أنه في حال ترجيح هذا السيناريو الأخير لمحاكمته في العراق أمام هذه المحكمة، يجب أن تتوسع دائرة المحكمة والمحاكمة، لتشمل قضاة دوليين، وإن كان هذا محل شكوك لتعارضه مع السيادة الدولية للعراق، ولكن هناك حلاً

لمحاكمته والعراق لا تزال تحت الاحتلال الأمريكي، ليتم تشكيل المحكمة بإشراف أمريكا وبمساعدة منها، غير أن هذه المحكمة ستحيطها الشكوك، وستكون بصمة سوداء في تاريخ العراق، والحل في هذه الحالة هو تقديم أمريكا والمجتمع الدولي لمساعدات خلفية لهذه المحكمة العراقية من حيث الاستشارات والخبرة، وذلك لمساعدة العراقيين في إتمام المحاكمة بصورة دولية محايدة، لا تتحكم فيها النوازع أو الخلفيات السياسية المعادية لصدام.

شارون شاهد صدام وقضى ليلة في بغداد:

أكد [ناصر محمود] السياسي العراقي المقرب من مجلس الحكم الانتقالي، المعين من قبل قوات الاحتلال الأمريكية، الأخبار المتداولة في أوساط المجلس، والتي تؤكد استقبال «بول بريمر» لرئيس الوزراء الصهيوني أريل شارون في بغداد ليلة الأحد ١٤ كانون الأول / ديسمبر ٢٠٠٣، وأوضح «ناصر محمود» لصحيفة (الراية) أن طائرة صهيونية خاصة هبطت في مطار بغداد عند الساعة الثامنة مساء بالتوقيت المحلي، وكانت تقل على متنها أريل شارون وعدداً من مساعديه من بينهم ضباط في المخابرات الصهيونية، وكان بريمر وعدد من المسؤولين الأمريكيين في استقباله في المطار. وقال المسؤول العراقي: إن شارون طلب أن يرى صدام حسين حين علم من مضيفه الأمريكي، بريمر، بوصوله معتقلاً إلى مطار بغداد، وقد لبى بريمر رغبة ضيفه «الإسرائيلي» ليكون أول شخص يرى صدام حسين، وقد هنأ شارون بول بريمر على هذا الإنجاز السياسي الكبير الذي وصفه بأنه يعزز «النصر الأمريكي المتحقق في العراق»، على حد زعم شارون. وأشارت معلومات متداولة في الشارع العراقي أن شارون بات ليلته في بغداد، وهو الذي لم يكن خطط لذلك، إلا أن الفرح الذي شعر به بعد رؤيته لصدام حسين معتقلاً دفعه إلى المبيت في بغداد. ولم تذكر الأنباء السبب الذي ذهب من أجله شارون للعراق قبل الإعلان عن اعتقال الرئيس العراقي[1].

(١) صحيفة الراية القطرية: ١٧ ديسمبر ٢٠٠٣

ثالثاً: صدام حسين عاش طفولته منزوياً وانتهى معزولاً

بين اختفائه من على مسرح السياسة العراقية في التاسع من نيسان / إبريل ٢٠٠٣ وبين إلقاء القبض عليه أخيراً في ١٣ كانون الأول / ديسمبر، مرت فترة رمادية حاول الرئيس العراقي السابق صدام حسين تفادي الوقوع في قبضة القوات الحليفة، فيما عاش العراقيون لحظات قاسية وهم مشدودون إلى ما سيؤول إليه مصير صدام.

وفي الحقيقة، ظلت السياسة العراقية لأكثر من ثلاثة عقود تثير دهشة العالم، لأنها كانت متمركزة في رأس رجل واحد هو صدام حسين. ومسيرته الخاصة تنطبق تماماً على صورة شخصيته. لقد كان صدام يعلم علم اليقين أن عليه المضي حتى النهاية، وحيداً إذا دعت الضرورة ليلبي ـ حسب ما ظل يعتقد حتى ساعة إلقاء القبض عليه ـ نداء التاريخ.

ولد صدام حسين لأسرة سنية فقيرة، وعاش طفولة هي أقرب إلى البؤس، فمنذ البداية اختير له اسم ينبئ بالعنف والقسوة والحزم. ويبدو أن قوة الشكيمة ليست الصفة الوحيدة التي كان يتسم بها فقط، بل ذلك الغموض المتعمد الذي أحاط نفسه به أيضاً، بما فيها تاريخ ميلاده. فطبقاً لما أعلنه صدام ذات مرة أنه ولد في ٢٨ نيسان / إبريل ١٩٣٧، لا يتذكر معظم أقرانه حتى عام ولادتهم. ومهما يكن من أمر، فقد غدا هذا التاريخ، منذ عام ١٩٨٠، عيداً رسمياً يحتفل به سنوياً في العراق.

والدته هي صبحة طلفاح التي يشاع أنها كانت تتمتع بشخصية قوية، عاشت في تكريت حتى وفاتها في عام ١٩٨٢، وقد بنى لها صدام مقبرة فاخرة وأسبغ عليها لقب «أم المناضلين». أما والده حسين المجيد فقد خطفه الموت على حين غرة حتى قبل أن يرى ابنه الذي ولد بعده ببضعة شهور.

هكذا عاش صدام مع أمه وزوجها الثاني إبراهيم الحسن وإخوته غير الأشقاء في بيت بسيط في قرية العوجة بالقرب من تكريت إلى الشمال من العاصمة بغداد

يتكون من غرفة واحدة ذات أرضية طينية وغير مزود بالمستلزمات الأساسية مثل الماء والكهرباء. وقد روى صدام نفسه لكاتب سيرته الذاتية أمير إسكندر معاناته هذه، فقال: «لم أشعر أنني طفل أبداً، كنت أميل إلى الانزواء وغالباً ما أتجنب مرافقة الآخرين». ولكنه وصف تلك الظروف بأنها منحته الصبر والتحمل والاعتماد على الذات. ثم أشار إلى أنه عاش حياة شقية اندفع إليها من جراء العوز، وكان يبيع البطيخ لركاب القطار الذي كانت تكريت إحدى محطاته في طريقه من الموصل إلى بغداد كي يطعم أسرته. وتروي حكايات أخرى أنه كان يمسك بعصا حديدية ليطارد الكلاب الضالة في الطريق.

في سن العاشرة، انتقل صدام حسين للعيش في بيت خاله خير الله طلفاح الذي كان منخرطاً في سلك التعليم. وفي تكريت، التحق صدام بالمدرسة في سن متأخرة عن باقي أقرانه، مما سبّب له معاناة شديدة، لكنه مع ذلك كان يحفظ دروسه بفضل ذاكرة ثاقبة وقدرة على التركيز الذهني في آن واحد.

في مطلع عقد الخمسينيات، انتقل صدام للعيش مع خاله في بغداد، حيث يقال: إنه تأثر برؤى ذلك الخال السياسية وبمفرداته المبسطة المبنية على إطلاق الشعارات البراقة مثل: معاداة الاستعمار، وتبني روح قومية عربية تدعو إلى التجدد والتغيير. وكان حزب البعث يبشر بهذا الأدب الذي تشربه صدام منذ نعومة أظفاره. وكانت بريطانيا تدير العراق في الفترة بين عام ١٩٢٠ و عام ١٩٣٢ بحكم نظام الانتداب الذي أقرته عصبة الأمم، إلا أنها مارست دوراً سياسياً كبيراً لفترة طويلة بعد تلك الفترة. إلا أن المشاعر المعادية للغرب كانت قوية. وجاء انتماؤه للحزب في عام ١٩٥٦ تعبيراً عن تحول في شخصيته، وإيحاء بالقوة والحزم لا يبلغ لهما قرار.

منذ البداية، لم تنقصه الوسيلة في ظل خال لم تعزه العلاقات ليغدو شخصاً آخر. لقد أظهر مهارة فائقة في التنظيم وطاقات في التنفيذ. ففي السابع من تشرين الأول / أكتوبر ١٩٥٩، أوكلت مهمة اغتيال رئيس الوزراء، آنذاك، عبدالكريم

قاسم إلى شلة حزبية كان في عدادها البعثي ابن الثانية والعشرين صدام حسين. وبالفعل، فقد أطلقت المجموعة المنفذة النار على موكب «الزعيم الأوحد» في شارع الرشيد ببغداد، بيد أن المحاولة باءت بالفشل وأصيب صدام بعيار ناري في ساقه. ومنذاك بدأ نجم صدام يسطع في سماء حزب البعث. وكان المقدر للأحداث أن تتصاعد فجأة، فقد قرر صدام مغادرة العراق بعد أن أدرج اسمه على قائمة المطلوبين بالاعتقال، فلجأ إلى سورية في رحلة طويلة: ومن هناك توجه إلى مصر. في القاهرة، التحق صدام بمدرسة قصر النيل الثانوية بحي الدقي حتى تخرجه في عام ١٩٦١ حيث كان يعيش حياة اللاجئ السياسي. لكنه قال ذات مرة: إنه رسم لنفسه صورة الرئيس المصري جمال عبد الناصر «باعتباره مثلاً أعلى له يحاول تقليده».

في العام ذاته انتسب صدام إلى كلية الحقوق، جامعة القاهرة، ولكن انغماسه المتزايد بالنشاط الحزبي حال دون استكمال دراسته الجامعية. فقد عاد إلى بغداد في أعقاب انقلاب الثامن من شباط / فبراير ١٩٦٣ الذي أسفر عن الإطاحة بنظام قاسم وتنصيب عبد السلام عارف رئيساً للجمهورية. ولكن سرعان ما تفجّر خلاف بين الأخير وبين قادة البعث أسفر عن إقصائهم من السلطة بعد مضي شهور قليلة على تحالفه معهم.

في هذه الأثناء برز صدام حسين كرجل محوري سيتم تعيينه مشرفاً على التنظيم العسكري لحزب البعث، مما زاد في اعتقاده أن ساعته قد حانت من جديد في التحضير لعمل عسكري يطيح بسلطة عارف. بيد أن الأجهزة الأمنية استطاعت القبض عليه في ١٤تشرين الأول / أكتوبر ١٩٦٤ وإيداعه السجن في مديرية الأمن ببغداد، ولكنه مع ذلك انتخب أميناً لسر القيادة القطرية للحزب وهو لا يزال قابعاً خلف القضبان.

في أواخر تموز / يوليو ١٩٦٦، تمكن صدام من الفرار، ولم يطل به الأمر حتى أنشأ جهازاً أمنياً داخل الحزب عرف باسم «جهاز حنين»، وبدأ حثيثاً في التخطيط

للاستيلاء على السلطة وخلع الرئيس «الضعيف» عبد الرحمن عارف. وبالفعل، كان المناخ العام في بغداد ينبئ بحدوث مثل هذا الانقلاب. وفي صبيحة يوم ١٧تموز / يوليو ١٩٦٨ ارتدى صدام البذلة العسكرية واعتلى ظهر إحدى الدبابات، كما روى هو نفسه ذلك في ما بعد، وتحرك نحو القصر الجمهوري بمساعدة الحرس الرئاسي المتآمر والقيام بانقلاب «أبيض». مع تنصيب أحمد حسن البكر رئيساً للجمهورية، بدأ صدام الذي شغل عملياً منصب نائب رئيس مجلس قيادة الثورة، يجمع السلطة بين يديه بصورة حثيثة؛ فهو يعرف كيف ينتظر الفرص الثمينة لتقوية أوراقه الرابحة ويجيد كذلك اختيار ساعته.

أجرى صدام حسين بصفته نائباً للرئيس أحمد حسن البكر، إصلاحات واسعة النطاق وأقام أجهزة أمنية صارمة.

وقد أثارت سياسات كل من صدام والبكر قلقاً في الغرب. ففي عام ١٩٧٢، وفي أوج ذروة الحرب الباردة، عقد العراق معاهدة تعاون وصداقة أمدها ١٥ عاماً مع الاتحاد السوفياتي. كما أمم شركة النفط الوطنية التي تأسست في ظل الإدارة البريطانية، والتي كانت تصدر النفط الرخيص إلى الغرب.

وقد استثمرت بعض أموال النفط عقب الفورة النفطية التي أعقبت أزمة عام ١٩٧٣، في الصناعة والتعليم والعناية الصحية، مما رفع المستوى المعيشي في العراق إلى أعلى مستوى في العالم العربي.

وفي عام ١٩٧٤، ثار الأكراد في الشمال بدعم من شاه إيران الذي تؤيده الإدارة الأمريكية. وقد دفع الصراع الحكومة العراقية إلى طاولة المفاوضات مع إيران، إذ وافقت على تقاسم السيطرة على شط العرب ـ الممر المائي الواقع جنوبي العراق وجنوب غربي إيران. مقابل ذلك أوقف شاه إيران تقديم الدعم المادي للأكراد في شمال العراق مما مكّن النظام العراقي من إخماد الانتفاضة الكردية.

وقد تمكن صدام حسين من إحكام قبضته على السلطة من خلال تعيين أقاربه وحلفائه في المناصب الحكومية المهمة، بالإضافة إلى مراكز التجارة والأعمال.

وفي عام ١٩٧٨، أصبح الانتماء إلى أي من أحزاب المعارضة جريمة يعاقب عليها القانون العراقي بالإعدام. وفي العام التالي ١٩٧٩ أجبر صدام حسين المهيب أحمد حسن البكر على الاستقالة ـ السبب الرسمي للاستقالة هو لأسباب صحية ـ وتولى رئاسة البلاد.

وهكذا تسلّم صدام حسين السلطة في بغداد على مرحلتين: انقلاب «أبيض» في عام ١٩٦٨، ثم ضربة نهائية في ١٦ تموز / يوليو ١٩٧٩، حيث جمع بين يديه رئاسة الجمهورية والأمانة العام لحزب البعث ورئاسة مجلس قيادة الثورة.

لقد بدا له الآن كل شيء ممكناً وفي متناول اليد، فبعد توليه زمام السلطة، قاد صدام حملة تصفيات طالت العديد من رفاقه عبر محاكمة انتهت بإعدام ١٧ من قادة وكوادر الحزب، من بينهم خمسة أعضاء في القيادة القطرية، واستمرت الحملة التي أطلق عليها آنذاك «حملة التطهير» لتشمل قرابة ٤٥٠ شخصاً من القيادات العسكرية البارزة.

تدهورت العلاقات بين العراق وإيران إثر قيام الثورة الإسلامية الإيرانية عام ١٩٧٩، في بداية عام ١٩٨٠ كان صدام حسين قلقاً من انعكاسات الثورة الشعبية في إيران المجاورة على نظام حكمه خاصة في أوساط الغالبية الشيعية العراقية. وفي هذا الجو المحموم قرر صدام الدخول في حرب ضد نظام الحكم الجديد في إيران، وكان الهجوم العراقي على الأراضي الإيرانية بداية لحرب دامت ثماني سنوات.

فاندلعت حرب الخليج الأولى التي استمرت قرابة ثماني سنوات (١٩٨٠ ـ ١٩٨٨).

ففي سبتمبر/ أيلول ١٩٨٠ رد العراق على سلسلة من المناوشات مع إيران بتصعيد استحال إلى غزو بري واسع النطاق لمحافظة خوزستان الحدودية الإيرانية الغنية بالنفط.

وفي نهاية الشهر ذاته مزقت بغداد اتفاق الجزائر الذي وقعه صدام حسين، نائب الرئيس العراقي آنذاك، مع شاه إيران عام ١٩٧٥، واستعاد العراق نصف شط العرب الذي تنازل عنه لإيران بموجب ذلك الاتفاق.

وما إن بدأت الحرب حتى شرعت قوات البلدين بحملة قصف متبادل.

لقد استبدلت الثورة الإيرانية نظام حكم الشاه رضا بهلوي الموالي للغرب والمدعوم من قبله بنظام إسلامي راديكالي.

وسعى الزعيم الإيراني، آية الله خميني، إلى تصدير الثورة الإيرانية للدول المجاورة بما في ذلك العراق، حيث حاولت النخبة السنية الحاكمة احتواء الغالبية الشيعية المتململة.

وقد تصاعدت المعارضة الشيعية في العراق حتى وصلت ذروتها في محاولة اغتيال طارق عزيز، نائب رئيس الوزراء، في نيسان / إبريل ١٩٨٠.

لكن وجهات النظر حول الدافع للغزو العراقي لأراضي البلد المجاور تفاوتت بين الاعتقاد بأن السبب هو التململ الشيعي الداخلي، والرغبة في الدفاع عن بلدان المنطقة من تصدير الثورة الإيرانية، ومجرد انتهاز فرصة ضعف إيران بعد الثورة لتحقيق المزيد من النفوذ والسلطة.

بينما كانت الحرب مستعرة بين العراق وإيران، نفذت الطائرات الإسرائيلية هجوماً على المفاعل النووي العراقي الواقع بالقرب من بغداد، بالرغم من رفع النظام الإسلامي في إيران راية «معاداة الصهيونية».

وكان العراق قد سعى إبان السبعينيات إلى إقناع فرنسا ببيعه مفاعلاً نووياً مشابهاً للمفاعل المستخدم في برنامج الأسلحة النووية الفرنسي.

لكن باريس رفضت ذلك، ووافقت فقط على بيع المعدات والمساعدة في بناء مفاعل تموز للبحوث بقدرة ٤٠ ميغاوات، في مركز الطاقة الذرية العراقي في التويثة بالقرب من بغداد.

وقد أغار عدد من الطائرات الإسرائيلية من نوع أف ـ ١٦ على مفاعل تموز وحولته إلى مجرد أنقاض خلال ثوان معدودة من القصف.

وبررت إسرائيل، التي كان مناحيم بيغن رئيس وزرائها آنذاك، قصف المفاعل بأن العراق كان يطور أسلحة نووية.

وقال الجيش الإسرائيلي إن الغارة «أعادت المارد النووي في بغداد إلى قمقمه».

لكن القصف أدين، حينئذ، على نطاق واسع حتى من قبل الحليف التقليدي لإسرائيل أي الولايات المتحدة التي دعمت قراراً للأمم المتحدة بتوبيخ إسرائيل.

أكد خبراء في الأمم المتحدة عام ١٩٨٦ أن العراق انتهك معاهدة جنيف باستخدامه الأسلحة الكيماوية ضد إيران.

ويعرف أن العراق استخدم غاز الخردل اعتباراً من عام ١٩٨٣ وغاز الأعصاب (التابون)، الذي يقتل ضحاياه خلال دقائق، اعتباراً من ١٩٨٥، وذلك أثناء مواجهته ما يسمى بـ «هجمات الموجات البشرية» التي استخدمتها القوات الإيرانية بزج أعداد كبيرة من المتطوعين غير المدربين لكن الموالين للحكم الإيراني.

وفي عام ١٩٨٨ استخدمت بغداد أسلحتها الكيماوية ضد الأكراد العراقيين في شمال البلاد، حيث وقفت بعض الميليشيات التركية إلى جانب الهجوم الإيراني.

وقد ألقت الطائرات العراقية في ١٦ مارس/ آذار من ذلك العام قنابل تحتوي على غاز الخردل والسارين والتابون على مدينة حلبجة الكردية.

ويقدر عدد القتلى بين ثلاثة آلاف ومئتي شخص إلى خمسة آلاف شخص، وإصابة الكثيرين بمشاكل صحية طويلة الأمد.

كما استخدمت الأسلحة الكيماوية خلال ما أطلقت عليه بغداد «عمليات الأنفال» وهي حملة نفذت خلالها سياسة الأرض المحروقة على مدى سبعة أشهر.

ويقدر عدد الضحايا الأكراد في هذه العمليات بـ ٥٠ ألف إلى ١٠٠ ألف قروي بين قتيل ومفقود. وأزيلت مئات القرى عن الوجود.

وقد أصدر مجلس الأمن قراراً بإدانة استخدام العراق للسلاح الكيماوي. لكن الولايات المتحدة وغيرها من الدول الغربية لم توقف مساندتها السياسية والعسكرية لبغداد إلا في المراحل النهائية من الحرب.

تقاربت العلاقات بين الغرب والعراق في فترة الحرب، وبلغ هذا التقارب ذروته بتدخل الغرب في الحرب إلى جانب العراق.

كان الغرب يخشى من تزايد قوة النظام الإسلامي للمرشد الروحي للثورة الإيرانية آية الله الخميني، وأراد أن يحول دون انتصار إيران في الحرب.

وأزالت الولايات المتحدة العراق من على قائمة الدول الراعية للإرهاب عام ١٩٨٢، وبعد عامين أعادت علاقاتها الدبلوماسية مع بغداد بعد أن كانت قد قطعتها منذ حرب حزيران / يونيو عام ١٩٦٧ بين العرب وإسرائيل.

وكان الاتحاد السوفياتي، الحليف الرئيس للعراق هو المصدر الرئيس لأسلحته.

إلا أن عدة دول غربية من بينها بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة أمدت العراق بالأسلحة والمعدات العسكرية، كما تبادلت واشنطن المعلومات الاستخباراتية مع نظام الرئيس العراقي صدام حسين.

إلا أن فضيحة إيران-كونترا، التي تتلخص في الكشف عن قيام الولايات المتحدة ببيع أسلحة إلى إيران سراً أملاً في الحصول على مساعدة إيران في إطلاق سراح رهائن في لبنان، أثارت خلافاً بين الولايات المتحدة والعراق.

وفي المراحل النهائية من الحرب حول العراق وإيران نيران أسلحتهما إلى ناقلات النفط التجارية في الخليج لتخريب مكاسب كل منهما من الصادرات النفطية.

وأرسلت الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا سفنها الحربية إلى الخليج لترافق عدة ناقلات نفط كويتية كانت تواجه هجمات إيرانية كما وضعت عليها أعلاماً أمريكية.

ومع تطور «حرب ناقلات البترول»، دمرت الولايات المتحدة عدداً من منصات النفط الإيرانية، كما أسقطت طائرة ركاب إيرانية تقل ٢٩٠ شخصاً فيما قالت واشنطن إنه حادث وقع نتيجة الخطأ.

في ١٨ تموز / يوليو عام ١٩٨٨ وافقت إيران على هدنة اقترحتها الأمم المتحدة في مواجهة الهجمات العراقية المستمرة والمدعومة من الغرب.

وبدأ سريان وقف إطلاق النيران في ٢٠ آب / أغسطس عقب شهر من الموافقة الإيرانية، وأرسلت الأمم المتحدة قوات دولية لحفظ السلام.

وبنهاية الحرب لم تتغير حدود البلدين تغييراً كبيراً لكن كلاً من العراق وإيران شعرتا بثقل التكاليف البشرية والاقتصادية الهائلة لثمانية أعوام من الحرب.

قتل خلالها أكثر من مليون شخص من الجانبين، وقدرت خسائرها بنحو تريليون دولار أمريكي، إضافة إلى مئات الآلاف من الأسرى والجرحى والمعاقين، واقتصاد بات ينوء بوطأة أزماته.

وكانت جثث ضحايا الحرب لا تزال تكتشف حتى عام ٢٠٠١.

وتقدر قيمة الخسائر الاقتصادية وخسائر عائدات النفط لكل من البلدين بأكثر من ٤٠٠ مليار دولار.

إلا أنه بعد ثلاثة أعوام من انتهاء الحرب وفي عام ١٩٩١ وبعد شهر واحد من الغزو العراقي للكويت وافق العراق على الالتزام باتفاقية عام ١٩٧٥ التي وقعها مع إيران.

وما إن أطفأت الحرب أوارها حتى بدأت الخلافات تتصاعد مع دولة الكويت. وبإغراء وجود مليون جندي عراقي مدرب، قرر صدام في الثاني من آب / أغسطس ١٩٩٠ غزو الكويت واعتبارها المحافظة العراقية التاسعة عشرة.

والواقع أن الإطار العراق كان ضيقاً على «زعيم» في مثل حجمه، وهو رفض الانسحاب بصورة سلمية من الكويت، وتابع هدفه بإصرار ليمارس سياسة حافة الهاوية من دون أن يبدي تراجعاً أمام الولايات المتحدة التي شكلت تحالفاً دولياً لإخراجه بعملية عسكرية عرفت باسم «عاصفة الصحراء».

في السابع عشر من يناير/ كانون الثاني عام ١٩٩١ شنت طائرات أمريكية وبريطانية وأخرى حليفة حملة مكثفة من القصف الجوي والضربات الصاروخية على العراق.

وأعلن الرئيس جورج بوش الأب «إننا لن نفشل».

وفي الثاني من شهر آذار / مارس ١٩٩١ أصدر مجلس الأمن قراراً جديداً حدد شروط وقف إطلاق النار، التي تضمنت وقفاً لكل العمليات العسكرية وإلغاء العراق لقراره بضم الكويت، وقيام بغداد بتزويد الأمم المتحدة بمعلومات كاملة عن الأسلحة الكيماوية والجرثومية التي يمتلكها، وإطلاقه سراح كافة الأسرى، واعترافه بالمسؤولية عن الخسائر والأضرار التي نشأت عن احتلاله للكويت.

وفي اليوم التالي ٢٨ آذار / مارس، قبل القادة العراقيون رسمياً شروط وقف إطلاق النار في اجتماع مع القادة العسكريين الأمريكيين جرى في خيمة نصبت بالقرب من بلدة صفوان الحدودية.

ولم يحضر الرئيس العراقي صدام حسين هذا الاجتماع.

وكانت القوات الأمريكية والقوات المتحالفة معها قد أسرت أثناء ذلك عشرات الألوف من الجنود العراقيين الذين استسلموا للقوات المهاجمة دون مقاومة تذكر.

ويقدر الأمريكيون أن زهاء ١٥٠,٠٠٠ من العسكريين العراقيين كانوا قد فروا من وحداتهم.

أما خسائر الأمريكيين وحلفائهم، فلم تتجاوز ٤٨ قتيلاً جراء العمليات الحربية و١٤٥ آخرين قتلوا جراء ما وصف «بحوادث لا قتالية».

ومن ناحية أخرى، يقدر الأمريكيون وحلفاؤهم أن الجيش العراقي تكبد خسائر تراوحت بين ٦٠ ألفاً إلى ٢٠٠ ألف قتيل. وقد دفن قتلى العراق في مقابر جماعية في الصحراء.

فور قبول العراق قرار وقف إطلاق النار، بدأت الانتفاضات تنتشر من المناطق المنشقة في شمال وجنوبي البلاد.

فقد قام المسلمون الشيعة في البصرة، والنجف وكربلاء جنوبي البلاد بمظاهرات احتجاج ضخمة ضد النظام.

كما تمكن الأكراد في الشمال من إقناع القيادة العسكرية المحلية بالمنطقة بتغيير الولاء.

وكانت السليمانية أولى المدن الكبرى التي سقطت في أيديهم.

وفي غضون أسبوع سيطر الأكراد على مناطق الحكم الذاتي الكردية ومنطقة كركوك الغنية بحقول النفط.

وفي منتصف شهر شباط / فبراير، دعا الرئيس الأمريكي جورج بوش الشعب العراقي لأن يأخذ بزمام الأمور في يده.

ولكن الآمال بالحصول على دعم أمريكي لم تتحقق، وبدلاً من ذلك وصلت طائرات حربية عراقية قامت بقصف مكثف لتلك المناطق.

وتقول جماعة «إندايت» التي تدعو لمحاكمة القادة العراقيين بتهم ارتكاب

جرائم حرب: إن المتمردين قد أعدموا جماعياً، وإن المستشفيات والمدارس و المساجد والأضرحة وطوابير اللاجئين الفارين قد تعرضت للقصف.

وتقول الولايات المتحدة، التي تعرضت لانتقادات شديدة لسماحها لصدام حسين باستمرار استخدام قواته الجوية: إن ما بين ثلاثين ألفاً وستين ألف عراقي قد لقوا حتفهم.

وفي الشمال فر نحو مليون ونصف المليون كردي عبر الجبال إلى إيران وتركيا. وقد ساهمت الظروف المناخية السيئة والتضاريس الصعبة في زيادة معاناة اللاجئين وخلقت كارثة إنسانية. وقد نظمت الأمم المتحدة عقب ذلك عملية إغاثة ضخمة سمتها توفير المأوى، قامت خلالها بإسقاط الأغذية ومواد الإعاشة الضرورية للاجئين.

بدا صدام كأنه تلقى الضربة وارتضاها، ولكنه في المقابل نجح في القضاء على الانتفاضة الشعبية التي اندلعت في آذار / مارس ١٩٩١ في معظم مناطق العراق.

وفي عام ١٩٩٤ بدأت لجان التفتيش الدولية عن أسلحة الدمار الشامل عملها في العراق بعد تقارير تفيد بأن العراق يعمل على تطوير أسلحة غير تقليدية.

قبل بدء احتلال العراق عام ٢٠٠٣. طلبت الولايات المتحدة الأمريكية والعديد من الدول العالمية والعربية من صدام حسين التنحي عن الحكم؛ تجنباً لعملية الغزو الأمريكية، والتي أعلنتها واشنطن، إلا أنه رفض ذلك وأصر على البقاء في السلطة.

وجاء القرار الأمريكي بناءً على تصور مسبق منها لاحتلال العراق، وبحجة أن صدام لا يزال مراوغاً بشأن أسلحة الدمار الشامل، وأنه يمتلك أسلحة بيولوجية ونووية وبرامج لها.

وفي اليوم الذي سقط فيه تمثال صدام في ٩ نيسان / إبريل ٢٠٠٣ شوهد الرئيس العراقي السابق لآخر مرة بين الناس وهو يردد «لقد خانوني».

واستطاع أن يبقى متخفياً مدة ٨ أشهر قبل أن يتم اعتقاله مساء يوم السبت ١٣ كانون الأول / ديسمبر ٢٠٠٣.

وبما أنه لا يستطيع أن يحقق ذاته إلا عبر التصادم، وهو الاسم الذي اختير له منذ ولادته، فقد انتهى به المطاف إلى فرض نهجه المطلق على الدولة والمجتمع. وبدلاً من أن يستوعب أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ كما استوعبها كثيرون غيره، وبدلاً من رؤية الحشود العسكرية الأميركية المتزايدة على تخوم بلده تمهيداً لحرب متوقعة ترفع شعاراً معلناً قوامه تحرير العراق من قبضته، ظل صدام حسين يميل إلى المشاغبة والعناد. هذا الميل في شخصيته لم يكن حصيلة الصدف، بل نتيجة سياسة مزروعة بالتهور والمغامرة قذفت البلاد والعباد في أتون حروب لا طائل منها. لذلك لم يكن أمامه من منفذ سوى أن يلعب ورقته الأخيرة: الهرب. وفي فترة انتظار إلقاء القبض عليه، أمضى صدام حسين الشطر الأكبر من الوقت معزولاً في جحر، وهو يعلم أن لحظة إسدال الستار على شخصه آتية لا محالة[1].

وهكذا طويت صفحة مهمة من صفحات التاريخ العراقي المليئة بالخيانة.

على الأيام المقبلة تكشف المزيد لا سيما أثناء المحاكمات التي تعتزم الإدارة العراقية الجديدة إجراءها لجماعة النظام العراقي السابقين.

فقد شكلت الخيانة دوراً مهماً في مراحل مختلفة من وجود صدام حسين في السلطة وصولاً إلى لحظة اعتقاله.

الخيانات في التاريخ العراقي باتت سجلاً حافلاً، ابتداءً من منير روفا الذي أقلع بطائرة الميغ، الروسية الصنع، وحط بها في مطار إسرائيلي في بداية الستينيات وبداية استلام حزب البعث السلطة، وهو بالمناسبة، قريب نائب رئيس الوزراء العراقي طارق عزيز، وقدم بذلك أفضل خدمة للكيان الصهيوني الذي اطلع

(١) صحيفة الشرق الأوسط: ١٥ كانون الأول / ديسمبر ٢٠٠٣، B B C Arabic.

على أسرار هذه الطائرة ومميزاتها وكما بالأمس، كذلك اليوم، خيانات بالجملة، في أحلك الظروف، أخطر المراحل التي شهدها العراق في مواجهة القوات الأمريكية والبريطانية التي أعلنت صراحة عزمها على تغيير النظام.

سقطت بغداد بفعل الخيانة من المقربين من صدام حسين، وها هو بعد ما يقارب الثمانية أشهر من المطاردة والتخفي يسقط هو الآخر بفعل الخيانة ومن المقربين له في قبضة القوات الأمريكية.

إلقاء القبض على صدام حسين كان الحدث وسيبقى، فتاريخه مليء بالمواقف وإرادته للتصدي للعدوان دفعت الكثيرين للتعويل عليه وعلى قدرته في ابتداع المعجزات.

obeikandl.com

المصادر

obeikandl.com

obeikandl.com

المصادر

الكتب:

- الزمن الأمريكي من نيويورك إلى كابول، محمد حسنين هيكل، المصرية للنشر العربي والدولي، القاهرة، ٢٠٠٢.
- إنه النفط يا (...)، د. سمير صارم، دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٣م.
- موسوعة أحداث القرن العشرين، ناصر بن محمد الزمل، مكتبة العبيكان، الرياض، ٢٠٠٤ م.
- حق التضحية بالآخر، أمريكا والإبادات الجماعية، منير العكش، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت ٢٠٠٢.
- الثلاثاء الأسود، الدكتور محمد أحمد النابلسي، دار الفكر، دمشق ٢٠٠٢م.
- أمريكا والسعودية، حملة إعلامية أم مواجهة سياسية، غازي عبد الرحمن القصيبي ـ المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- قتل مصر من عبد الناصر للسادات، شفيق مقار، رياض الريس للكتب والنشر، ١٩٨٩.
- الثورة العربية الكبرى، أمين سعد، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٨٧.
- القوة والإرهاب، نعوم تشومسكي، ترجمة إبراهيم يحيى الشهابي، دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٣م..
- القاموس السياسي، أحمد عطية الله، دار النهضة العربية، ط٣، القاهرة ١٩٦٨.

obeikandl.com

التاريخ العربي الحديث

- الصراع الدولي في الشرق الأوسط، نور الدين زين ـ دار النهار للنشر ـ بيروت، ١٩٧٧.
- الخوف والكراهية -LA PEUR , LA HAINE شارل رومان – الناشر: -Provocation - 2003.
- أوكار الشر، كينيون غيبسون، الدار العربية للعلوم ط١– بيروت ٢٠٠٤

الصحف العربية:

- صحيفة الشرق الأوسط: ١أيار / مايو ٢٠٠٣م، ٢١ حزيران / يوليو ٢٠٠٣.
- صحيفة الرياض العدد: ١٢٨٤٧، العدد ١٢٨٩٠.
- صحيفة البيان الإماراتية ٢٥ أيار / مايو ٢٠٠٣.
- صحيفة الراية القطرية ١٧ ديسمبر ٢٠٠٣.
- جريدة الزمان، العدد: ١٠٨٦ 14 ?رمضان ١٤٢٢هـ– ٢٩ نوفمبر ٢٠٠١.
- صحيفة اليوم السعودية 10-1-2004?م.
- صحيفة الأسبوع المصرية ٢٢ديسمبر ٢٠٠٣.

الصحف الأجنبية:

- صحيفة المانشستر غارديان ٢٦ / ١١ / ١٩١٧ م.
- صحيفة التايمز اللندنية ٢ / ١٢ / ١٩١٨,
- صحيفة الإندبندنت ٥ / ١١ /٢٠٠٣
- صحيفة الأبزورفر ٢٥ /١ / ٢٠٠٤

المجلات العربية والأجنبية:

- مجلة البيان العدد: ١٨٨، والعدد: ١٩٣,
- مجلة الأمة، العدد الرابع (ربيع الآخر ١٤٠١ هـ)، السادس (جمادى الآخرة ١٤٠١ هـ)،

obeikandi.com

والسابع (رجب ١٤٠١ هـ)، والثامن(شعبان ١٤٠١) هـ، والتاسع (رمضان ١٤٠١ هـ)، والعاشر (شوال ١٤٠١هـ).

- مجلة الأسرة، العدد ١٢٤، رجب ١٤٢٤هـ.
- مجلة التاريخ الحديث ـ شيكاغو ـ العدد الثالث ١٩٥٠ م.
- مجلة المجلة العدد ١٢٠٠ ٩-١٥ /٢/ ٢٠٠٣م، والعدد ١٢٠١، ١٦-٢٢ / ٢ / ٢٠٠٣م، والعدد ١٢٠٩ ١٩ / ٤ / ٢٠٠٣، والعدد مجلة المجلة العدد: ,١٢٣٩
- مجلة الوعي الإسلامي ـ العدد ٤٣٧ محرم ١٤٢٣هـ ـ الكويت.
- مجلة الأهرام العربي: شباط / فبراير ـ 2002 ـ، ١٢ نيسان / إبريل ,٢٠٠٣
- مجلة نيوزويك أيار / مايو ٢٠٠٣، كانون الثاني / يناير ,٢٠٠٤
- البحوث والمقالات على شبكة الإنترنيت:
- الإرهاب الأمريكي البداية والنهاية، حسني الحايك، بحث منشور على الإنترنيت.
- أمريكا ثنائية القوة والحرب، أحمد دياب، الأهرام ١/ ١١ / ٢٠٠٢ بحث منشور على الإنترنيت.

موقع: الشاهد للدراسات الاستراتيجية.

- الإرهاب في الحركة الصهيونية، حيدر أحمد علو، بحث منشور الإنترنيت.
- من كارثة الخليج.. إلى المذبحة إلى الحرب العالمية الثالثة.. إلى المجهول.. الأستاذ عادل رمضان (بحث منشور على الإنترنيت).
- آثار الحصار على العراق، أمين شحاتة، بحث منشور على الإنترنيت.
- الأمراض الجديدة التي سببتها الأسلحة الجديدة في أفغانستان، البروفيسور عاصف دراكوفيتش، من موقع (الجزيرة نت).
- الحرب القذرة ضد العراق، منى خماس، بحث منشور على الإنترنيت.
- الأسباب الحقيقية للحرب الإمبريالية، بحث منشور على الإنترنيت.
- الحرب الوقائية بعد أحداث ١١ سبتمبر من وجهة نظر القانون الدولي وحقوق

الإنسان – العراق نموذجاً – الدكتور عبد الله تركماني كاتب وباحث سوري، بحث منشور على الإنترنيت

B B C Arabic.

- موقع: http://arabgate.info
- موقع www. Alhrmain.com / text / dasat
- العراق: حرب من أجل الهيمنة والنفط، بحث منشور على الإنترنيت.

المنظمات الدولية:

- منظمة الصحة العالمية.
- مراقبة المنظمات العنصرية والإجرامية، مونتغومري، ولاية ألباما الأمريكية.

obeikandl.com